

روايات مصرية الجيب



أسطورة

33

أرض المفلول

ما وراء الطبيعة

www.dvdearab.com

Hany3H



مقدمة

مرحباً بكم ..

الآن - وقد حانت الساعة السابعة - يمكننا أن نبدأ جلسة أخرى مع الشيخ (رفعت إسماعيل) ، الذى كان بودنا لو اعتبرناه شبيهاً بـ (شهرزاد) ، لولا سعاله المزعج وتجاعيده وصلعته البراقة ونحوه الذى لا يُصدق ..

(شهرزاد) كانت مضطرة لأن تحكى قصصاً مسلية للأبد ؛ حتى لا يطير الأخ (شهریار) رأسها الجميل ..

و (رفعت) مضطر لأن يحكى قصصاً يحاول أن تكون مسلية ؛ حتى يجد سبباً واحداً لاستمراره فى الحياة بعد الستين .

انتهى وقود (شهرزاد) من الحكايات بعد ألف ليلة وليلة .. فمتى ينتهى وقود (رفعت إسماعيل) العجوز ؟ بعد قصة ؟ بعد خمسين ؟ بعد مائة ؟

ما زال فى جعبتى الكثير على كل حال .. وفى الغالب سأقضى نحبى وأنا أتكلم ..

سألني كثيرون منكم عما حدث لـ (هاري) بعد
قراءة التعاويذ الاسكتلندية (في رعب المستنقعات) ..
وسألني آخرون عن مصير (هاري) والدمية في
(حكايات التاروت) ..

هذه هي مشكلتي .. إنني أترك - في زحفي للأمام -
جيوباً مطوّقة لا تنتهي .. وعلى أن أعود لأقضى
عليها .. هكذا تقضى استراتيجية (ليدل هارت) ..
سأعود لهذين الجيبين وجيوب أخرى كثيرة في
الكتيبات القادمة ..

وهأنذا أعود لجيب قديم منسى .. (سالم وسلمى) ..
لقد أرسلنا لي عدة مغامرات من مغامراتهما العجيبة
في أبعاد أخرى .. وكنت قد وعدتكم بأن أقدم لكم
(أرض المغول) .. وهو وعد تأخرت في الوفاء به
خمس عشرة وعشرين كتيباً .. وبضعة أعوام .. لكنني لن
أنتظر أكثر ..

في الصفحات القادمة أترك للأخ (سالم) الصفحات
تماماً .. وأعدكم بأن أعود في نهاية الكتيب لأقدم رأياً
سخيفاً لا لزوم له على الإطلاق كعادتي ..
إذن اقلبوا الصفحة أو انظروا لليسر ..
وهلموا إلى (أرض المغول) ..

★ ★ ★

مقدمة أخرى

اعتاد (رفعت إسماعيل) العجوز أن يقدم لكم في
أول صفحتين أو ثلاث من قصصه ، ملخصاً سريعاً
للأجزاء السابقة .. وغالباً ما يكتبه تحت عنوان
(فلننعمش ذاكرتنا) أو أي عنوان سخيّف آخر ..

والحق أنني أجد في هذا نوعاً من التعتّب ، يفترض
أن القارئ له ذاكرة متطايرة لا تصمد فيها التفاصيل ..
ولهذا لن أضايكم بملخص من هذا النوع ، أو - على
الأقل - بهذا الطول المفرط ..

أنا (سالم شحاته) .. وزوجتي (سلمى شحاته) ..
ونحن نسختان كاملتا التشابه .. لكن هذا لا يعود إلى
تجارب الاستنساخ - التي يتحدث عنها الجميع - لكن
يعود إلى أننا من عالمين متشابهين في مجرتين
مختلفتين ..

و (سلمى) هي التي تملك جهاز (ناقل الجزيئات)
الذي ينقلها باستمرار وسط أبعاد أخرى .. ومن قرأ
الكتيب الثامن يعرف أننا غادرنا الكوكب (٣٢٢ - ب - ٣)
هاربين بجلدنا من عصاية كادت تفتك بنا ..

هذا كاف جداً .. ويمكننا أن نبدأ السرد دون
تعقيدات .. أنتم الآن تعرفون قواعد اللعبة .. فلماذا
لا نتطلق صفارة بدء اللعب ؟!

★ ★ ★

١ - أين نحن ؟

تم التجسد في قبو مظلم رطب عطن الراحلة متسخ
مهجور ..

برغم هذا كنا قادرين على أن يرى بعضنا البعض ..
وأدركت أننا نبدأ مغامرتنا في هذا العالم الجديد في
أسوأ حال من البعثرة و (البهذلة) .. فالدماء تسيل من
شفتي ومن أنفي .. وقد فقدت فردة حذاء ، بينما شعر
(سلمى) قد تحول إلى حزمة من الكتان .. وأنفها
أحمر كآنف إسكافي ثمل من أبطال (تشيكوف) ..
- « هل أنت بخير ؟ »

وهو سؤال سخيف لأننا نشعر بذات الأشياء معاً ،
بنفس الطريقة .. ومعنى أن كل عظمة من عظامي
مهشمة ، هو أنها ليست أفضل حالاً ..

- « لقد قررنا في الوقت المناسب .. »

- « دقيقة أخرى كانت ستحولنا إلى لحم مفروم .. »

ثم إنها جلست متكئة على ذراعيها المفرودين ..
وسألتني :

- « قبو آخر ؟ »

- « هذا واضح .. إنه بدروم وكر العصابة في هذا الكوكب .. وبالطبع يقع خارج (حلوان) هذا الكوكب .. »
وللأسف كان ضغطها على الأرقام عشوائياً في (ناقل الجزيئات) ، لذا صار من المستحيل أن نعرف رقم هذا الكوكب .. على كل حال لن يحدث هذا فارقاً كبيراً .. إنها أرض أخرى وكفى .. أرض تشبه أرضنا هذه في أكثر الأشياء وتختلف عنها في أشياء معينة لها أثر لا يصدق ..

ونهضنا متثاقلين .. وبالطبع نزعبت فردة حذائي الباقية طلباً للتماثل .. ثم اتجهنا إلى مخرج القبو .. كان الظلام دامساً لكن (سلمى) ألقت ملاحظة عابرة :
- « يبدو أن هذه أرض بلا فئران .. »

تفكرت في كلامها حيناً .. حقاً لم نر فأراً واحداً في هذا القبو .. لكن لا معنى لهذه الملحوظة :

- « لا يوجد فأر هنا .. لكني لم أر في حياتي الفئران تقف لاستقبالى بلافتات الترحيب في كل مكان أزوره .. لنقل إن هذا قبو نظيف .. »

تشممت الهواء وقد تقلص وجهها .. وقالت :

- « بالعكس .. العطن في كل مكان .. والقاذورات .. لو لم يوجد فأر هنا فلا فئران في هذه الأرض أساساً .. »

وبدأت أترقى في درجات السلم المتصدعة ذات الصرير .. يوجد باب في أعلى الدرج .. لكنه موارب لحسن الحظ ..

حبسنا أنفاسنا .. ومددت يدي إلى المقبض لأزيد مجال الرؤية حينما سمعنا أنة .. أنة صادرة من خلفنا لا من أمامنا ..

لقد كان هناك أحد في القبو معنا ! تباً لهذا الكلام .
- « هل سمعت ؟ »

هزت رأسها أن نعم .. وازدادت التصاقاً بي .. هنا لمحنا شيئاً يتوهج في ركن القبو البعيد .. شيئاً أقرب إلى عود ثقاب يتحرك ليعانق فتيل شمعة .. ثم غدا الضوء واضحاً .. واستطعنا أن نرى امرأة .. كانت راقدة فوق قطع من الخرق تم حشدها كيفما اتفق لتكون فراشاً بدائياً .. وجوارها دورق ماء مكسور وشمعة وسكين ..

أما عن المرأة نفسها فلم تكن تثير الذعر لأنها

مخيفة .. بل لأنها مذعورة أكثر منا .. إنه ذلك النوع
من الخوف الذى يجعل العينين تجحطان والشففتين
تتقلصان .. ويفقد المرء معه مرعباً أكثر من أى
شبح ..

وأدركنا - برغم هلعنا - أنها شقراء زرقاء العينين ..
وأنها مريضة .. ربما هى تحتضر .. ودون أن نعرف
سبباً لذلك رحنا ننزل فى الدرج ، متشابهى اليدين ،
مسحورين عاجزين عن الرحيل دون أن نفهم ..
وسمعناها تقول شيئاً بصوت مبحوح جافاً ..
- « بل .. يز .. دون كيه .. ل .. مى ! »

احتجنا إلى بعض الوقت كى نفهم أنها تتكلم
الإنجليزية .. وأنها تقول لنا ألا نقلها من فضلنا ..
لا بأس .. إنها مذعورة مثلنا .. هذا يجعلنا أدنى إلى
التفاهم ..

ولكن ما سرها ؟ من وضعها هاهنا ؟ هل هى
مخطوفة ؟

دنوت منها .. وركعت جوارها أكثر لأفهم وأسمع ..
ومن عينيها فهمت أنها تدنو من الجنون أو جنت
فعلاً .. مددت يدي كى أربت على نراعها مترفقاً ..
لكن (سلمى) صاحت فى حزم :

- « (سالم) ! لا تفعل ! »

التفت لها غير فاهم .. فقالت بنفس الحزم :

- « ابتعد عنها ! قلب هنا بجوارى .. »

تراجعت .. ووقفت حيث طلبت .. إن (سلمى)
أحكم منى وأسرع تفكيراً .. ربما لفارق السن بيننا ..
لهذا عرفت أن لديها سبباً مقنعاً ..
قالت وهى تشير لأسفل :

- « هل ترى ؟ يوجد خراج ضخم فى خن فخذها .. »
كان الغطاء منحسراً عن رجل المرأة .. واستطعت
أن أرى ما تقول (سلمى) .. يبدو لى هذا المشهد
مألوفاً .. ولكن أين ؟ أين ؟ فأوضحت لى الأمر :

- « خراج فى خن الفخذ .. وحمى .. وفقران لا وجود
لها .. بالتأكيد ماتت كلها .. إن خبرتى الطبية معدومة
لكن كل هذا يشير إلى .. الطاعون (*) ! »

هبطت على الكلمة كصاعقة كهربائية .. فتراجعت
للوراء ..

كانت المرأة تحاول جاهدة الوصول لنا للتمسك
بنا .. (*) وباء الطاعون : يبدأ بموت الفقران .. من ثم تفادى
فبراغيث أجسادها لتفترق أجساد البشر ..

بقدمي .. لهذا واصلت التراجع في زعر .. فلنغادر
هذا القبو حالاً يا (سلمى) ..

ووثبنا على درجات السلم درجتين في الوثبة ..
حتى وصلنا إلى الباب ..

وهذه المرة غادرنا القبو وأوصدناه وراءنا ..
ثم وقفنا على الجانب الآخر نستجمع أنفاسنا ..

★ ★ ★

- « طاعون ؟ ما معنى هذا ؟ »

قلت لها وأنا أنفض ثيابي من براغيث وهمية ملائها :
- « واضح أن هذه الأرض تعاني وباء الطاعون ..
وهذا يعني أن الإغراء شديد كي نضغط على مجموعة
أخرى من الأزرار .. »

- « لحظة .. كيف تضمن أننا لم نلتقط العدوى
بعد ؟ »

- « بـ .. بهذه السرعة ؟ »

- « طبعاً .. برغوث واحد يثب من ثيابها إلى ثيابنا ..
وهذا معناه أن ننقل العدوى إلى كوكب آخر برىء ! »
كدت أصاب بجلطة دماغية من الغيظ .. وصحت
فيها :

- « يا سلام ! ونبقى هنا بانتظار مزيد من
البراغيث ؟ فلتنفض ثيابنا ونفر من هنا فرارنا من
الأسد .. »

- « اصبر يا (سالم) .. لا بد من أن نفهم أولاً .. »
وللمرة الأولى رفعنا عيوننا نتأمل المكان الذي نحن
فيه ..

★ ★ ★

كان البيت متواضعاً .. متواضعاً وضيقاً كجحر
فأر ..

لكن أسلوب التأثيث .. والتقويم المعلق على الحائط ..
وصورة مطرب (الروك) الملتصقة على الباب ..
كل هذا كان يشي بأننا لسنا في بيت مصري
ولا عربي .. نحن في بلد ما أجنبي ..

وبالتأكيد كانت المصادفة هي ما جعلنا نتجسد في
قبو مماثل للقبو الذي بدأنا رحلتنا منه .. ولكن أين
نحن حقاً ؟

- « فريز ! دون موف ! »

واستدرينا في زعر نحو مصدر الصوت ..
كانت هناك فوهة بندقية عتيقة مصوبة إلينا ..

والبنديقية تحملها عجوز شمطاء لم يبق جزء في وجهها إلا وداست عليه دبابات الزمن .. وتأكد ظني أننا في بلد ناطق بالإنجليزية .. (إنجلترا) أو (أمريكا) أو (أستراليا) أو

بدأ الجزء اللغوي في عقلي يعمل .. وبدأت أسترجم اللغة الإنجليزية التي لم أستعملها منذ دراستي الجامعية .. حتى لكأنى أرى ترجمة (أنيس صيد) على صدر العجوز التي توجه البنديقية لنا علامة على تفجير رأسنا ..

- « من أنتم ؟ »

- « نحن .. نحن صديقان .. لقد جئنا بطريق الخطأ .. »

ضيق العجوز عينين لا تريان .. ودنت منا أكثر .. ثم طمعت :

- « لا يبدو لي أنكما منهم .. ما هذه السلامح المتشابهة ؟ هل أنتما توعمان ؟ توعمان أجنيبان ! ماذا أتى بكما إلى (أمريكا) من أين ؟ »

كانت الإجابة هي - بالترتيب - نعم .. لا ندرى .. (مصر) ..

وعند هذا الجزء كانت قد دنت منا أكثر من اللازم .. وتخلت عن حذرها .. لهذا لم أر ما يؤذى في أن أترزع ماسورة البنديقية من يدها بقوة ، وأضع ساقي في طريقها في أثناء اندفاعها .. لتسقط على الأرض ككومة العظام وقد فقدت سلاحها ..

هرعت (سلمى) لتعينها على النهوض .. وهي تعاتبني :

- « حرام يا (سالم) ! ألا ترى أنها خائفة لا أكثر ؟ »

- « لو ضغطت على الزناد .. فلن يهمنى ما إذا

كانت خائفة أم لا وهي تقتلني .. إن الحالة النفسية

لقاتلي لا تعزيني كثيراً كما تعلمين .. ثم من أذك أن

هذه المرأة غير مصابة بالطاعون ؟ »

لكنها ساعدت المرأة المرتجفة على النهوض ..

فأجلستها على أريكة متداعية .. بينما اتجهت أنا

لأعلق البنديقية على مسمار صدئ يبرز من الحائط ..

وعدت لأجلس شاعراً بأن البراغيث تملأ ثيابي ..

متهاففة تساعلت العجوز :

- « إذن لم نجونا لقتلها ؟ »

- « قتل من ؟ »

- « (كارول - آن) .. إن أوامر (أوجوتاي) صارمة .. »

- « آه .. فهمت ! »

لقد اتضح كل شيء : إن (أوجوتاي) الصارم قد أمر بقتل (كارول - آن) .. هذا سهل .. ولكن من (أوجوتاي) ؟ ولماذا يريد قتل (كارول - آن) ؟

- « هل (كارول - آن) هي الموجودة بالقبو ؟ »

- « نعم .. هي ابنتي الوحيدة .. »

- « وهل رآها الأطباء ؟ »

تقلص وجه العجوز .. وجحظت عيناها لتشير الرعب في نفسها .. وقالت :

- « طبعاً لا .. لو أنهم عرفوا أنه الطاعون فلن .. »

ثم ازدادت حيرة .. وفي ذهول سألتنا :

- « ألا تعرفان كل هذا ؟ قاتون (بيدرا) .. كل

مرضى الطاعون يحرقون أحياء مع المنزل الذي وجدوا فيه .. »

قالت لها (سلمى) في صبر باتجليزيتها العرجاء :

- « لنقل إنا سائحان حديثا المجيء هاهنا .. هل

لهذا تخبئتها في القبو ؟ »

- « طبعاً .. فالنار هي العلاج الوحيد الذي يعرفه

الأطباء للطاعون .. »

فكرت (سلمى) قليلاً .. وراحت تبلبل شفقتها السفلى بطرف لسانها ثم سألت المرأة :

- « أين نحن بالضبط ؟ »

- « ومن أنتم بالضبط ؟ »

قالتها بسؤال مماثل وهي تنقل بيننا عينيّن جاهزتين للأسوأ ..

قلت لها وأنا أتحاشى عينيها :

- « هذه قصة طويلة ولن تصدقني منها حرفاً على

أى حال .. فلنبداً بالإجابة على سؤالنا نحن .. ما هو

هذا المكان ؟ »

- « أنتم في (نيويورك) .. »

تبادلت النظرات مع (سلمى) .. لقد ابتعدنا كثيراً

عن (مصر) إذن .. ولم نجرؤ على سؤالها عن أى

زمن هذا حتى لا تظن المرأة بنا الظنون ..

لكن التقويم المعلق على الحائط كان يشير إلى

ديسمبر ١٩٩٢ ..

هنا قالت (سلمى) وهي تتخلل بأناملها خصلات

شعرها :

- « هل تتوقعين مقدم رجال هذا الـ .. الـ (أوجوتاي) هنا ؟ »

- « عرباتهم تفرع الحى منذ الصباح .. وأنا هنا جاهزة للأسوأ .. »

ولم أفركم أن المثل القائل (الذى يخاف من العفريت يطلع له) صادق ، إلا حين سمعت طرقات عنيفة على الباب .. طرقات بوليسية .. طرقات قوة غاشمة تعرف أن من حقها أن تتواجد حيثما تريد .. متى تريد ..

هبت المرأة واقفة .. ونظرت إلينا .. وصاحت :

- « إنهم قد جاءوا ! »

- « من هم ؟ »

- « الشرطة طبعاً .. كنت أعرف أن هذا سيحدث ..

والآن »

- « افتحي الباب ! »

دوى الصوت خارج الباب بنبرة غليظة لا تدل على اللطف ..

- « هل تحملان بطاقات عبودية ؟ »

بطاقات عبودية ؟ يا له من اسم ! بالطبع لا نحمل ..

ولا نريد أن نتشرف بحمل بطاقات لها هذا الاسم الرهيب ..

الطرقات تزداد عنفاً .. واضح أنهم سيهشمون الباب سريعاً ..

هتفت المرأة وهي تتجه إلى البندقية المعلقة :

- « لو لم تكن معكما بطاقات ، فعليكما بالهرب .. إنهم يعدمون فى الحال كل من لا يملكها .. هاك ! النافذة الخلفية .. ستقودكما إلى الزقاق .. هيا ! »
- « افتحي الباب ! »

جذبت (سلمى) من معصمها نحو مخرج الهرب .. لكنى لم أفس أن أسترع البندقية من يد العجوز .. وقلت لها فى رفق :

- « هذا سيجعل النتائج وخيمة بالنسبة لك ! »

باحتراج هتفت ، وهي تتشبث بالماسورة :

- « وخيمة أو غير وخيمة .. لن أدعهم يحرقون ابنتى ولها حية .. »

كان الوقت أضيق من أن يضيع فى الجدل .. (دبشك) البنادق ينهال على خشب الباب ، الذى يدهشنى أنه أمتن مما ظننت ..

قالت (سلمى) بالعربية :

- « دعها يا (سالم) . إنها معركةها وعليها أن
تخوضها .. »

أما نحن فلتهرب ..

وحين ساعدت (سلمى) على وضع قدميها على
إضر النافذة ، سمعت خشب الباب يتهدم
لهذا وضعت قدمي بدوري ووثبت .

كانت النافذة في الطابق الأرضي ، لهذا سقطنا
سقطه هينة وسط غلب الطعام الفارغة وأكياس
القمامة . والقطط التي تبحث عن فئران لن تجدها .
رائحة الزقاق عفنة جدا . والأرض مغطاة بطبقة
من مياه المجاري ..

ومن داخل الدار سمعنا امرأة تصرخ :

- « لا .. لا أحد يقتلها .. لا أحد .. »

ثم طنقة رصاص واحدة خرقاء تلاها سيل من
الطنقات من بنادق آلية كأنه يحفر نفقا في أعصابنا ..
وشممنا رائحة البارود الطازج ..

بعد ثوان شممنا رائحة الدخان .. ورائحة الخشب



لكني لم أنس أن أنزع البندقية من يد المعجوز

المحترق .. لقد بدءوا حرق البيت بمن فيه كما قالت
المرأة لنا منذ دقائق ..

شعرت بتقلص في معدتي .. لكن هذا لم يمنني
من أن أهنس لـ (سلمى) :

- « لقد رأينا ما يكفي .. والآن اختاري كوكبا آخر
لرجوك .. »

★ ★ ★

٢ - أرض المغول ..

خرجنا من الزقاق لنجتاز عدة شوارع متقاطعة بلا
عابري سبيل ..

وكان منظرنا لا يوصف في أرقى لغة إلا بأنه مثير
للريب . فتاة مبعثرة الشعر ، ورجل أفه يدمى
وحافى القدمين .. والأدهى أنهما متشابهان تماما ..
بأنطبع لم تقبل (سلمى) أن تترك الكوكب لعدة
أسباب :

١ - ربما كنا نحمل الطاعون معنا الآن .. وهذا
يعنى تلويث عالم آخر برؤس ..

٢ - أين روح المغامرة لدى ؟ لماذا لا ننتظر بعض
الوقت لنعرف المزيد ؟ لو اتبعنا هذا الأسلوب فلنأنا
سننهى كل احتمالات الجهاز (ناقل الجزيئات) ، دون
أن نقضى في أي كوكب أكثر من ربع ساعة ..

٣ - إن الهرب متاح دوماً حين تسوء الأمور أكثر
من اللازم ..

٤ - لا معنى لدخول عالم آخر بذات المظهر المشوش . على الأقل يجب أن يبدو في مظهر أكثر احتراماً ..

كانت حججها مقنعة فيما عدا الحجة الأولى طبعاً وهكذا واصلنا رحلتنا دونما سبب سوى انتظار أن تسوء الأمور ..

★ ★ ★

كان الطقس بارداً .. بارداً إلى حد أن أفكارى تجمدت قبل قدمى الحافيتين . ولم تكن أثياب التى علينا مناسبة لهذا الصقيع ..

نباع ثياباً أثقل ؟ لا يمكن . لأننا لا نحمل دولارات ولا نحمل مالا فى الأساس يبدو أنها ورطة لا خلاص منها ..

وعند الناصية سمعنا من يأمرنا بالتوقف .

لهجة انجليزية رديئة لكنها كافية لتفزعنا واستدركنا ببطء لنرى رجلاً قصير القامة يرتدى ثياباً حمراء . واضح أنه زى رسمى ما . وعلى رأسه خوذة سوداء .. وفى يده بندقية آلية من النوع الذى يُحمل بيد واحدة كالمسدس .

أما عن ملامح وجهه فتستأهل وقفة إن عينيه ضيقتان مشقوقتان شفاً جانبياً ووجهه مزاج من الصفرة والسمرة .. وشاربه طويل مفتول ينساب على جانبى فمه . والوجه - ككل - يعكس شراسة لا تسر النفوس ..

أحق أنه يبدو كالمغول لو أن المغول لديهم رجال شرطة ..

ورأيناه يشير لنا كي ندنو منه .. دنونا ونحن نجر قدمينا . بينما هو يرمقنا بثبات من عينيه الناريّتين ..

- « بطاقات العبودية .. بسرعة ! »

★ ★ ★

إنهم يعدمون فى الحال كل من لا يملكها .. هاك ! النافذة الخلفية ..

★ ★ ★

مددت يدي إلى جيبى بحثاً عن بطاقتى الشخصية لعنها تصلح هنا .. وهنا توتر الرجل وبلهجة منكرة هتف :

- « ببطء ! »

أخيراً تنهدت معلناً عن استسلامي .. ورسمت ابتسامة رياضية مريحة على وجهي وقلت (إني أعرف كيف أجتاز هذه المشاكل بدبلوماسية) :
 - « الواقع أننا نسيناها في البيت يا زميل .. ولكن .. لو أنك سمحت لنا أن .. »
 - « قلنا أمام الجدار ! »
 - « إن السفارة المصرية قد تفسر الأمر لو »
 - « أمام الجدار ! »
 وتراجعا ببطء .. ولحسن الحظ لم يخطر ببائنا أن الرجل سيقوم بإعدامنا .. فالأمور لا تجري بهذه البساطة أبداً .. لهذا تراجعا كما طلب .. وأنصقتا ظهرينا بالحائط .. لكني لم أحب كثيراً الطريقة التي عالج بها شينا في مؤخرة بندقيته ثم رفعها نحونا ..
 - « (سالم) .. ماذا سيفعل بالضبط ؟ »
 - « لا تقلقي .. إنه سيقادنا إلى المخفر طبعاً .. »
 وبوجه صلب كالرخام هتف الشرطي :
 - « بناء على تعليمات (أوجوتاو - خان) وقانون (بيلرا) رقم ١٧ - هـ : سيتم إعدامكما في الحال استناداً للتفويض الممنوح لي ! »

- « إنه يمزح .. لا تظهرى ذعراً حتى لا تتعشى قلبه ! »
 - « أنا غير مذعورة .. فما زلت لا أفهم .. »
 يوم !
 طنقة واحدة مختصرة جداً .. كل هذا المدفع من أجل طنقة تافهة كهذه ؟ لكننا رأينا الشرطي يترنح ثم يسقط على وجهه .. وبين لوحى كتفه رأينا ثقباً أحمر يتزأماً ..
 وعرفنا أن أحدهم أطلق عليه الرصاص من الخلف ..
 وكنا رجلين .. برزنا لنا من وراء صندوق قمامة كبير .. أحدهما أبيض أشقر الشعر قد عقص شعره على هيئة ذيل حصان .. أما الآخر فزنجى قد ضفر خصلات شعره المجعد في ملايين الصفات الصغيرة ، كما يفعل في عالمي المطرب (بول مارلى) ، أو الحمناء (بود بريك) .. هل تفهم ما أعينه ؟
 وكنا يرتديان سويترين جليدين فوق كنزات ثقيلة .. وفي يدي كل منهما قفلان .. هذا هو ما استطعت رؤيته في الثانية الأولى ..
 في الثانية الثانية رأيتهما يهرعان إلى جثة الشرطي .. وبحركات منظمة لا ترد فيها ولا لوتجال ،

رأيت الأشقر ينزع عن الرجل ثيابه . والزنجى ينزع
البندقية وهو يتلفت حوله فى حذر .. ثم ...
- « هلم يا رجل ' هناك من سمع هذه الطنقة
حتمًا ! »

وهرعنا كالأرانب المذعورة إلى زقاق .. فزقاق
أضيق .. ثم إن الزنجى تنفت حوله فى حذر .. وركع
على ركبته ليرفع الغطاء عن فتحة مجرور .. ودعانا
كى نهبط فيه بسرعة .. لكننى بلا حذاء !
هبط الأشقر أولاً وعلى كتفه ثياب الشرطى . ثم
(سلمى) . فأتا فالزنجى الذى تأكد من غلق
الفتحة ..

ونزلنا بعض درجات محفورة فى الجدار .. ثم
تقدمنا - ومياه المجارى تصل لسيقاتنا - فى ممرات
مظلمة ، لا نتبين طريقنا إلا فى ضوء مشعل صغير
يحملة الزنجى . ولم تكن هناك فئران لحسن الحظ ..
كالعادة ..

وأخيراً كان هناك شيء صخرى مرتفع يشبه
المنصة إلى حد ما ، أمكننا أن نتسلقه كى نجلس فوقه ،
بعيدين عن المياه المتعفنة من تحتنا ..

أخرج الأشقر شمعة من ثيابه .. وأشعل فتيلها
ثم ثبتها فى الصخر بقضرات ذاتية منها . وعندها
فقط عدنا إلى التنفس ..

والفيظ يلتمع فى عينيه الصفراوين هتف الزنجى
بلهجة فظة :

- « أنتما أغبى حمارين يمكن العثور عليهما !
لا أدرى كيف يعيش الحمقى إلى هذه السن برغم كون
الاحتمالات كلها ضدهم .. »

صعد الدم بدوره إلى رأسى .. وقتت :
- « سيدى . إذا كنت قد أنقذتنا فأنا لك شاكر .
لكن هذا لا يعنى أن تهيننا دون سبب .. وإلا يمكنك
إعادتنا إلى الزقاق وإعادة الشرطى إلى الحياة ..
واتن الموضوع تمامًا .. »

قال الأشقر باسمًا وهو يحاول تخفيف الجو :
- « لا عليكما .. إن (تومى) لا يجيد انتقاء
عباراته .. لكنه طيب القلب كجدة عجوز .. أنتما من
(الخاسرين) .. أليس كذلك ؟ »

تبادلت و (سلمى) نظرة .. هل من الحمق أن
أنكر أننى من (الخاسرين) وأخبرهما بالحقيقة ؟

لا حيلة أمامي .. من يدري ؟ لربما طائفتي بإبرار
بطاقة الخاسرين ليتأكدوا من شخصيتي ..

- « نعم . لسنا منهم .. نحن مصريان . و.... »
- « مصريان ؟ »

قالها الزنجي في ذهول . ثم واصل ثورته ..
- « مصريان .. وتمشيان في (سنترال بارك) ليلاً ؟
إن المغول لا يطبقون العرب ، ويقتلونهم قبل أن
يتمكن أحدهم من لفظ (الراء) في كلمة (عربي) ..
ألم أقل لكما إنكما أحمقان ؟ »

ابتلعت ريقى وكتمت عنهما أفكارى .. طاعون
ومغول و (خاسرون) .. ما هذا العالم بالضبط ؟

- « وكيف وصلتما إلى (نيويورك) ؟ »
هنا وفر علينا الأشقر عناء البحث عن إجابة .. وقال :
- « بالطبع جاءا مع (أبو فراس) .. إن الجرثومة
لا تستطيع العبور من الحدود كما تعلم .. من حسن
حظكما أننا كنا هناك بالمصادفة ، ورأينا المغولى على
وشك إعدامكما .. يجب ألا تظهرنا في الطرقات قبل أن
نستخرج لكما بطاقات عبودية مزورة .. أى تصرف
غير هذا هو انتحار .. »

قالت (سلمى) وهي تتنقى كنماتها بعسر :
- « لقد قتلوا عجوزاً وابنتها .. لأن الأخيرة مصابة
بالطاعون .. »

قال الزنجي في تهكم :

- « مرحباً بكما في (نيويورك) .. هذا المشهد
يتكرر عشرين أو ثلاثين مرة كل يوم .. وهي طريقة
فعالة حقاً لأن الوباء بدأ ينحسر .. »
- « ألا يوجد نوع من الأمصال أو المضادات الحيوية
أو ؟ »

- « هذه الأشياء للأولاد الأثرياء فقط .. إن موت
خمسین أو ستين ألفاً من الرعاع لن يضايق المغول
في شيء .. وهكذا يجدون للطاعون فائدة مزدوجة :
القضاء على الفئران .. القضاء على الرعاع الذين
تشبه حياتهم الفئران .. »

- « وأنتم ؟ كيف تحمون أنفسكم ؟ »
- « إن « أبو فراس » قد استطاع تهريب مائة
جرعة من مصل (هافكين) .. وقد أجريت قرعة
لمعرفة من سينجون منا .. أما الباقون فهم يكتفون
بمقاومة البراجيث وتنظيف ثيابهم جيداً .. »

- « إن (أبو فراس) وكل رجال منظمة (فتح) .
يمكن الاعتماد عليهم .. »

تبادلت و (سلمى) نظرة عابرة هو ذا الخط
المألوف بين العوائم يحدث ثتية ففي هذا العالم
تكافح منظمة (فتح) والأمريكيون من أجل القضاء
على المفلول .. من الواضح أن هذين الرجلين يمثلان
نوعا من الثوار من المتمردين على سلطة قاهرة
شمولية يمثلها المفلول ..

بالنسبة لـ (سلمى) كذلك بدا الأمر غريبا وإن كان
لأسباب مختلفة .. ففي عالمها لا توجد قوة قاهرة
سوى العرب أو ما تسميه (أ.ع.م) ..

قال الأشقر وهو يجمع ثياب الشرطي ويدسها في
كيس .

- « والآن نأخذكما إلى مقر الخاسرين .. هناك
أشياء كثيرة يجب ترتيبها قبل أن تجازفا بالظهور في
الشوارع .. »

ودعانا إلى أن نتبعه ..

★ ★ ★

قال الأشقر وهو يجمع ثياب الشرطي ويدسها في كيس
- « والآن نأخذكما إلى مقر الخاسرين .. »

٣ - أسئلة .. أسئلة ..

لن أحكى هنا عن شبكة الممرات شديدة التعقيد التي رحنا نمشي خلالها وسط المجارى .. إن هؤلاء القوم يحفظون المجارى كما تحفظ أنت خطوط كفت .. ومن الواضح أنهم لا يغادرونها إلا لماما .. ليقتلوا شرطيا أو يفجروا عربة شرطة .. أو يكتبوا بعض عبارات السباب ضد المغول على جدار ، مستعملين علبة (سبراى) وقطعة من خشب (الأركيت) المفرغة .. ثم يعودون إلى المجارى من جديد ..

أما عن مقرهم الرئيسى فى (نيويورك) فيقع تحت (سنترال بارك) . ويشبه كهفا عملاقا دعمت جدرانه بالأواح الخشب .. وتتدلى المصابيح الواهنة من سطحه ..

ويوجد عدد هائل من حقائب النوم على الأرض .. يتناثر عليها رجال منهكون ، منهم من ينظف سلاحه ، أو يقوم بربط الأسلاك فى عبوة ناسفة ، أو يكتب

بعضهم بالنوم .. وثمة مدفأة كهربية تحاول جاهدة أن تجعل المكان رחبا ..

وكانت هناك أربع أو خمس فتيات لا بأس بجمالهن ، لكن وجوههن اكتست بطبقة مريبة من الصرامة والجدية .. ربما التوحش .. وهن يعملن كما يعمل الرجال ويتحملن ما يتحملون .. ويصقن كما يصقون ..

بالإضافة لهذا توجد بعض المنشورات ملصقة على الجدار ، وورشة خراطة لتصنيع أسلحة بدائية ، وبعض صناديق الديناميت التى لم تبذل أية محاولة لتفادى شرها كأنها تحوى بعض البسكويت ..

قال الأشقر الذى عرفنا أن اسمه (كالاهاى) ، بعد ما التقط لنا صورة :

- « سيتم إعداد بطاقتى عبودية لكما .. لكن هذا يحتاج إلى بعض الوقت .. »

ومن فراشه الأرضى نهض عملاق زنجى أصلع .. كأنه ديناصور يقيق من سبات طويل .. كان عارى الجذع يكشف عن أضخم مجموعة من العضلات اللامعة بالعرق رأيتها فى حياتى ..

تقدم نحونا وهو يزجر من منخريه الواسعين ،
حتى ظننت أن هذا مشهد من فيلم (كينج كونج) ..
ثم قال بصوت لا يقر رقة عن مظهره .

- « من هذان يا (كالاها) ؟ »

- « إيهما مصريان يا (ماك - جورج) .. »

- « ومن قال إيهما ليسا جاسوسين لعينين ؟ »

- « إن شرطياً مغولياً كان على وشك إعدامهما

منذ ساعتين .. »

تأملنا في شك بعض الوقت ، حتى كدت أصرخ
وأعترف . أعترف بأى شيء ؟ " لست وأتقاً في
الحقيقة ..

ثم إنه غمغم من بين أسنانه :

- « حسن .. لكن كن حذراً .. ولو رأيت ما يريب
قل لى فحسب ! »

وعاد يكوم جسده الضخم على الحشية .

عاد (كالاها) يطلب منا أن نستريح بعض الوقت ،
إلى أن يفرغوا من تزوير البطاقات لنا .. وجلب لنا
بعض الشطائر ، وعلب مياه غازية اسمها (منغوليا)
وطعمها ليس أفضل من اسمها !

- « الآن حان الوقت .. »

فتها ل (سلمى) همسا ، وكانت تفهم تماماً
ما أريد قوله . حان الوقت للهرب من هذا العالم ..
فقد رأينا ما يكفي .. إن بدء المغامرة في عالم
يصطرع فيه المغول مع الثوار ، ويقتل العرب قبل لفظ
حرف (الراء) ؛ لهو دليل كاف على نهايتها ..
وكانت موافقة تماماً هذه المرة ..

جلست على حشية ، وأخرجت (ناقل الجزيئات)
بينما أمسكت يدها اليسرى في حرص .. لا أريد أن
أتركها ترحل لأعيش أنا هاهنا مدى الحياة ..

ها هي ذى تضغط عشوائياً .. (٢٠٠ - ١ -) ..
في اللحظة التالية وجدت نفسي في ركن القاعة ،
وثلاث فوهات مدافع مدفونة في عنقي .. و (سلمى)
تقف في الركن الآخر تقول شيئاً ما .. بينما العملاق
الزنجبى يتفحص الجهاز في ريبة .

- « قلت لكم إيهما جاسوسان .. لكنكم تظاهرتن
بالعبقريّة .. »

قالت فتاة شقراء ، صوتها كصوت رجل مصاب
بسرطان الحنجرة :

- « ربما هما انتحاريان .. يحاولان تفجير شحنة
من الديناميت .. »

- « أو هو جهاز إرسال يبلغ مكتنا للشرطة .. »
مرة أخرى يتكرر هذا الموقف السخيف ..
قنت محاولاً أن أجد مسافة تتحرك فيها حنجرتي :
- « لا هذا ولا ذاك .. هذه آلة حاسبة لا أكثر
ولا أقل .. »

تفحصها العملاق بضع دقائق .. وداعب بعض
الأزرار فيها ليتأمل الحروف على شاشتها ..

★ ★ ★

من القائل : لو أنك أعطيت قرداً آلة كتابة ،
وتركته يعث مليون سنة .. لربما وجدت أنه قد كتب
قصيدة - (شكسبير) ؟

★ ★ ★

لحسن الحظ لم يحدث هذا .. لم يكن قرداً ولم يمنح
مليون سنة يجرب فيها .. فقط جرب الأزرار مرتين ..
ثم هز رأسه :

- « إنها أقرب إلى مفكرة إلكترونية .. على كل
حال سأبقياها معي ! »

هتفت الفتاة وهي تسلك أسناتها بطرف خنجر ..
- « وماذا لو كانت جهازاً لاقتفاء الأثر ؟ »
- « لا يوجد جهاز الاقتفاء أثر مزود بمفاتيح رقمية ..
وكذلك القنابل .. »

ثم دس الجهاز في حزامه .. وعاد يرمقني
شك .. فحولنا عينينا عنه ..

نحن محبوسان هنا إلى أن يقرر إعطاءنا الجهاز ،
أو التحول أنا إلى (أرنولد شوارزنجر) أو - على
الأقل - (الشحات مبروك) .. كي ألب لأوجه له
لكمتين يلفد وعيه بعدهما .. واستزع الجهاز من
حزامه .

بدأ الجمع يتفرق .. وبدأ أنهم نسوا أمرنا مؤقلاً ..
فعدت و (سلمى) إلى افتراش الحشيشة ، ولمس
رأسينا من الخواطر السوداء ما لا داعي لذكره ..
- « لم يكن هذا خطئي .. »

قاتتها رداً على النوم الذي وجهته لها في سرى ..
كانت هناك بعض الكتب مترامية على رف من
المعدن الذي لا يصدأ .. وكنت على بعد ذراعين مني ،
فمددت يدي ومررت إصبعي على الهوامش :

دائرة المعارف البريطانية - تاريخ العالم - اساليب
حرب العصابات ..

انتزعت كتاب (تاريخ العالم) من موضعه ،
ورحت أقب في صفحاته النظيفة ناصعة البيض (فلا
أحدا يقرأ هنا على الأرجح) ..

★ ★ ★

(سيف الدين قطز) .. (الظاهر بيبرس) .
موقعة (عين جالوت) ..
لا شيء .. هووور ! هذا غريب ..

★ ★ ★

تدنى (سلمى) رأسها الصغير من رأسى ، وتصفى
لترجمتى لما هو مدون بالإنجليزية فى مجلد (تاريخ
العالم) :

الأنصال

فى عام واحد بتقويماننا العظيم ، وعام ١١٦٢
ميلادية بتقويم النصارى ، ولد مرشدنا وقائدنا العظيم
(تيموجين خان) الذى سمي بعد ذلك باسم
(جنكيزخان) أى سيد الحكام (*) ..

(*) كل المعلومات التالية حقيقية .

كن الخان العظيم يؤمن بالدم ، ويؤمن بان رجولة
الرجال لا تنضج إلا على وهج النيران ونصال السيوف
وفى الثالثة عشرة من عمره استطاع أن يقود
جيوشنا ، ويوحد قبائنا التى أنهكتها الصراعات
والحروب الأهلية ..

انظر أيها العالم ! انظرى أيتها الشعوب السقيمة .
أيها اليهود والنصارى والمسلمون .. هى ذى قوات
الخان التى لا تهاب الموت ، سنايك خيولها تنهب
الوديان والغابات .. وصرخات محاربيها الأشداء تصم
أذان الشعوب التى أوهنها السلام .

ها نحن أولاء نتجه إلى (الصين) لقد سمعنا
الصينيون باسم (شعب الخنازير) . وبنوا لنا سور
الصين العظيم حاسبين أنهم بهذا يردون أمواج
غزواتنا ..

لكن الخان العظيم استطاع أن يفتح السور ،
ويحتل (الصين) ، وينال بلاد (الترك) بكل بكواتها
وسلاطينها المتخمين . وينال (روسيا) ..

وتوفى الخان فى عام ٦٥ من تاريخنا و ١٢٢٧
بتقويم النصارى . وتلاه ابنه (أوجوتاي خان) الذى

واصل فتوح أبيه العظمى ، بجنده الذين يقاتلون
كالأبالسة ، ويلتهمون اللحم النيرى ، ولا يستحمون
أبداً لأنهم طاهرون ..

ثم جاء (باتوخان) ليواصل الفتوح .. ودانت لنا
(بولندا) و (ألمانيا) ..

ثم انطلق (هولاكو) العظيم ليظفر ببلاد العرب
كلها .. ويحتل (أوروبا) التى لم تر الهول منذ عهد
(أتيل) ملك الهون (*) ..

فى القرون التالية ، استطاع جندنا العظام أن
يفتحوا أكثر (إفريقيا) و (آسيا) .. وتمكن فاتحنا
العظيم (أميرجى خان) من عبور الأطلنطى فوجد
هناك شعباً من الهنود الحمر .. واستطاع أن يحتل
بلادهم ، ويرسل لها جيشاً من المغول وألوفاً من
عبيدنا البيض الأوروبيين .. وصار اسمها (أمريكا)
تيمناً بحروف اسمه ..

لقد تفرغ رجالنا العظام للحرب .. بينما تفرغ
عبيدنا الصفر والحممر والسود والبيض للزراعة
والاختراع من أجل منفعة أمة المغول العظيمة ..

(*) كل المعلومات التالية غير حقيقية

وكذا تمكن عبد إيطالى من اختراع اللاسلكى ..
وعبد أمريكى من اختراع الكهرباء .. وعبد ألمانى
من اكتشاف القنبلة الذرية . وعبد فرنسى من
اختراع آلة العرض السينمائية التى ترى الناس
أمجادنا .. وغزا العبيد الروس الفضاء ، لكننا ظللنا
هاهنا ننتظر حتى يلقوا هناك شعوباً تستحق أن
نغزوها ونعمل فيها الذبح والتفيل ..

المجد للمغول ! فهم الأقوى والأشجع والأذكى ..
ومنذ عهود فرساننا العظام الذين تركوا الشمس
وراء ظهورهم ، وراحوا بجيادهم ينهبون الأرض نهباً ،
تاركين وراءهم خطاً من الدخان الأسود والذهب ..
حتى فرساننا العظام الذين ألقوا قنابلهم النووية
فوق (موسكو) من طائراتهم الـ (خان - ١٩) .. نجد
أن روح المغول لم تتغير .. وما زالوا بنفوس متوثبة
يقاتلون فى كل مكان .. ويشربون لبن الفرس
المختمر فى جماجم أعدائهم بعد كل نصر ..
فإن لم يجدوا حروباً على الأرض ، أرسلوا
المكوكات الفضائية تبحث فى الفضاء البعيد عن دماء
يسفكونها ..

المجد للمفول ' والويل كل الويل لمن يجرف على
مقاومة إرادتهم السامية ، التي هي إرادة الكون ذاته .

★ ★ ★

أنهيت قراءة هذا الجزء من الكتاب .. ووجدت أنه
يحتوي - عدا ذلك - آلاف الأسماء للحروب التي تنتهي
كلها بـ (حرق القرى وذبح الرجال ودفن الأطفال
وبقر بطون الحوامل) . تاريخ طويل يبدأ من القرن
الثاني عشر وحتى القرن العشرين . والآف (الخدات)
العظام الذين لا يكفون عن حرق أعدائهم أحياء .

والمثير هنا أن الكتاب كان دراسياً وكان موجهاً
لتلاميذ الصف الرابع الأولي . أتمنى أن أرى وجه
النصبي الذي سيفرغ من قراءة كتاب كهذا . لا بد أنه
سيقضى بقية حياته في مستشفى الأمراض العقلية ،
مصاباً بالعتة الذهولي

تبادلت و (سلمي) نظرة واضحة المعنى
لقد اخترنا أسوأ عالم ممكن كما هو ظاهر لكل
ذي عينين ..

★ ★ ★

سألتني همساً :

- « ماذا تستنتج من كل هذا ؟ »

★ ★ ★

قلت لها وأنا أتأكد من أن أحدا لا يراقبنا :

- « الأمر واضح هذا العالم يحكمه المفول بأعين
حكم عسكري ممكن . ومن الواضح - كذلك - أن
الثورات نم تنجح ضدهم . بدليل أنهم يتمعون
بسيطرة كاملة بعد ثمانية قرون »

- « لكن كل أقطار العالم تحتفظ باسمائها التي
نعرفها .. »

- « حقاً لكنها ليست بدأتاً مستقلة إنها أقرب
إلى الولايات أو المحافظات التي يسيطر عليها حاكم
واحد . ليست واثقا مما إذا كان (أوجوتاي) هذا
حاكم (العالم) أم حاكم (الولايات المتحدة) .. لكنه
مرعب بما يكفي على كل حال .. »

عدت تسألني كأتني حكيم الأزمان :

- « وما سر الاختلاف الذي جعلهم يسيطرون على
الأرض ؟ »

ابتسمت فتم أتصور أنها لم تلاحظ

- « لأنه لا يوجد (قطز) في هذا العالم .. أم
تفهمني بعد ؟ »

★ ★ ★

٤ - فلنذب وسط الزحام ..

- « لا أفهم .. »

قلت لها في صبر :

- « الأمر واضح .. لقد كان (سيف الدين قطز)

ثالث ملوك دولة المماليك البحرية .. »

- « بحرية ؟ »

- « يسمونها هكذا .. ولا أعرف السبب (*) ..

وحين هاجم التتار بقيادة (كتبغا) غزة ، تعاون مع

مملوكي آخره (بيبرس البندقداري) لمحاربتهم ..

لقد تمكن (قطز) من مطاردة التتار حتى نهر العاصي ..

ثم تمت الموقعة الشهيرة المسماة (عين جالوت)

ما بين (بيسان) و (نابلس) .. حين صاح صيحه

الشهيرة (وإسلاماه !) .. وانتصر على جحافلهم

المروعة .. لقد خلد (علي أحمد باكثير) هذه المعركة

في روايته (وإسلاماه) .. هل عندكم مثله ؟ »

(*) يقال إن السبب هو أنهم استقروا في جزيرة (الروضة)
وسط النيل .

- « لا .. فشان التتار لم يكن ذا بال في عالمي .. »

- حسن .. يرى كثيرون من المؤرخين أن (عين

جالوت) هي نقطة التحول في تاريخ التتار .. ودون

غرور أو مبالغة يمكن القول إن (قطز) قد استطاع

أن ينقذ العالم إلى حد ما .. »

قطبت وجهها غير مصدقة .. وغمغت :

- « إلى هذه الدرجة !؟ »

- « كما أن معركة (واترلو) قد أنهت أمجاد وحش

يدعى (بوناپرت) ، و (ستالينجراد) قد حطمت أحلام

مخبول يدعى (هتلر) .. ولو لم تكن (ستالينجراد)

لكان النازيون يحكمون عالمي الآن .. »

هنا - وكان الحديث قد استغرقنا - دنا منا الفتى

الأشقر ذو الضفيرة ، الذي عرفنا أن اسمه (كالاها) ،

فجلس انقرفصاء جوارنا .. وأبتسم .. ثم ناولنا

بطاقتين مغلفتين رهيبتى الشكل .. وقال :

- « مرحباً بكما في (نيويورك) .. »

أمسكت البطاقة الأولى . وكأت عليها صورتي

أبتسم ببلاهة .. والبيانات تقول إنني (لوتشيو

أماريللو) ... عامل بناء .. مكسيكي ..

أما بطاقة (سلمى) فتقول إنها (ماريًا امارينو) .
خادمة .. مكسيكية ..

أولاً : لم اخترت لنا الجنسية المكسيكية «
- « لأنها تسمح بأن تكون اسمك البشارة ذا ملامح
عربية . لقد رأيت فرنسيين يبدوون كإسبانيين .
وأمركيين يبدوون كالأفارقة . فن تجد المغول شيئاً
مريباً في ملامح وجهيكما »

ثانياً : لماذا اخترت لنا مهناً يدوية بانسة ؟ ثم
لا أكون طبيباً وهي رسامة ؟

- « لأن هذا هو نوع المهن التي يمكن لمهاجر
مكسيكي أن يجيدها .. كنت سأختار لك مهنة عامل
مجارى .. ولها مهنة راقصة . لكنكما لا تبدوان لى
من أهل ذلك ' »

وأضاف فى تفلسف :

- « وعلى كل حال .. لا توجد مهنة يدوية بانسة .
أنت تعمل إذن أنت محترم .. »

ثالثاً : ما سر تشابه اسمينا ؟ هل تعنى أننا زوج
وزوجة ؟

- لا .. إن تشابه وجهيكما مريب . لذا أوشر أن
تكونا نوعين غير متماثلين .. فالأزواج قلما يشابهون

على هذا النحو إلا بعد ثلاثين عاماً من الحياة الهائسة .
ولا توجد حياة هائسة فى هذه الأرض .. »

لقد أقتعتنا يا أخ (كالاهاى) ..

بعد هذا مدّ يده لنا بحفنة من الدولارات غريبة
المظهر .. كلها تحمل وجه (جنكيزخان) بدلاً من
(جورج واشنطن) .. مع شعار (دماء دماء)
بدلاً من شعار (بالله نؤمن) الشهير .

- « دولارات مغشوة . مزورة بالطبع .. لكن
اكتشافها شبه مستحيل .. »

وتناولنا كيسين يحوى كل منهما مجموعة من
التيب . وحذّاءين لحسن الحظ وطلب منا أن ننتحى
جانباً لترتيديها

سأنته وأنا أحمل ثيابى وأنهض :

- « نكننا لا نعرف حرفاً من الأسبانية .. »

- « كذّك المغول . فلو ضبطك أحدهم اكتف بترديد

آية كنمات تنتهى بحرف (الواو) أو (الياء) .. ولا تنس
أن تضع يديك على صدرك وتلوح بهما طيلة الوقت ..

ومن أن لآخر قل (سنيورى) .. فهذا كفى »

ثم هتف بلغة أسبانية مزيفة يمكنها خداع الحمقى
جميعاً :

- « سنیوری داسفیدا ماتریو سوکیری ماریا ا »
 - « ما معنى هذا ؟ »
 .. « لا معنى له .. لكنه جيد كما ترى .. »
 - « وما هو برنامج حياتنا بعد ترك هذا المكان ؟ »
 ابتسم .. وقال وهو يبصق ويدارى البصقة بحذائه :
 - « لا شيء .. عليكما البقاء حين أطول وقت
 ممكن ا »

★ ★ ★

بطاقة عهودية

اسم العبد : لوتشيو أماريللو كاريداس .

السن : ٣٠ سنة .

المهنة : عامل بناء .

الولاية : المكسيك .

تاريخ القدوم إلى نيويورك : بيلاس - ٨٢٦ (أكتوبر
 ١٩٩٣ م)

عيوب : إسهال - غازات بطن .. قدم مسطحة .

شخصيته : خنوع - جبان - متردد - أحمق - إمعة .

صحت فى احتجاج بعد ما قرأت بطاقتى بعناية :

- « كل هذه السلبيات ؟ ولماذا لم تضيفها فى خاتمة

العيوب ؟ »



بعد هذا مدّ يده لنا بحفنة من الدولارات غريبة المظهر ..
 كلها تحمل وجه (چنكيز خان) ..

قال (كالاهان) وهو يرتب سترتى كى تبدو أكثر
إهمالا :

- « بل هى مزايك .. الخنوع الجبان الأحمق هو
العبد المفضل عند المغور . أما عن عيوبك فهم
لا يريدون سوى الجسدية منها .. وعلى كل حال
بطاقة عبوديتى أنا تقول إننى : خنزير - دنىء - نذل -
معتوه .. »

صافحته فى حرارة وحييت الباقيين .. وإن لم
أستطع كثيراً أن أحب (ماك - جورج) الذى يضع فى
جيبه أئمن ما أملك ..

- « شكراً يا (كالاهان) . فلولاك .. »
- « لا عليك . إنها تعليمات (أبو فراس)
الصارمة . علينا العناية بالعرب بالذات ، وتوفير سبل
الراحة والتكر لهم .. »

ورحنا نعبّر شبكة المجارى المعقدة

همست (سلمى) فى أذنى :

- « والجهاز ؟ »

- « وماذا عن جهازنا يا (كالاهان) ؟ »

قال وهو يتحسس مواضع خطواته ، مستعيناً
بمشعل صغير :

- « سيقى مع (ماك - جورج) لفترة حتى يعرف
كنهه . وعلى كل حال لا تقلقا فهو فى أمان ... »
ثم توقف وأشار بالمشعل إلى أعلى . كان النور
يدخل من طقة معدنية فى سقف المكان ..

- « ستصعدان من هنا إلى شارع جاتى .. تأكدا
من غلق الفتحة ثم عيشا حياتكما .. يوجد فندق
رخيص على بعد خطوات .. كما أن هناك مكتب
توظيف على الناصية .. والآن وداعا .. »

وراح ينتظرن حتى تسبقا الدرجات المعدنية ، التى
توصتنا إلى غطاء المجرور . أرحتها بىدى ..
ورفعت جسدى حتى خرجت من الفتحة ، ثم مدت
يدى أعين (سلمى) على الخروج ، وسرعان
ما ابتلعنا المدينة المنهكة العجوز .

★ ★ ★

كان الجنىد ينهمر فى رقة .. وبدأ الشارع يتخذ
لونا أبيض حزيناً كأحلام ملاك ، وقد بدأت أشجار عيد
الميلاد تتناثر فى الطرقات وأمام أبواب المحلات ..
وبعض ذمى حزيناً لـ (سانتا كلوز) - بابا (نويل)
كما تسميه - تقف على استحياء وراء واجهات المتاجر ..

ومرت جوارنا عربة تشبه عربات المطافئ بسرعة جنونية ..

على ظهرها وقف رجال ذوو ملامح مغولية ، يرتدون معاطف جلدية حمراء ، وقد ثبت كل منهم خزاناً على ظهره .. خزاناً يشبه قاذفات النابالم التي نراها في السينما ..

كانت ملامحهم صارمة تشي بالشر .. لابل تشي بما هو أقسى وأبدر من الشر .. وعرفت أن هذه فرقة إبادة مرضى الطاعون ، ذاهبة لحرق بيت آخر في الناحية .. أتمنى لهم التوفيق !

فما إن انتهت السيارة حتى همست (سلمى) وهي تتأبط نراعى ، ويدها ترتجف في عصبية حول ساعدي :

- لقد صرت أكثر اقتناعاً بمفارقة هذا العالم .. نحن لن نترك جهازنا مع هؤلاء المتمردين لمجرد أنهم أقوى وأكثر عدداً .. كان يجب أن تصر على استرداد الجهاز .. »

- الإصرار كان سيجعلهم يرتابون أكثر .. ويصممون على فتحه لمعرفة ما به ... »

- « ولكن كيف نسترده ؟ »

- « سنعود لهم بعد يوم قائلين إننا بحاجة إليه .. وسيكونون هم قد تأكدوا من أنه ليس قنبلة أو جهاز تصنت .. »

بدا عليها عدم الاقتناع .. لكن ما كان بوسعها أن تجد حلاً آخر ..

لافتات في كل مكان عليها صورة واحدة لوجه مغولي شرس يحاول أن يرسم ضحكة مشرقة على ثغره ، وتحتها تعليقات من نوع (تذكر أن أوجوتاي في كل مكان) و (أوجوتاي صديقك حين تخضع له .. وعدوك حين تعصاه) .. و (لا نريد مزيداً من دماكم .. فساعدونا) .. وفي كل ناصية يقف رجل شرطة مغولي بثيابه الحمراء المميزة ، يرمق المارة في شك ويده على مدفعه الرشاش الشبيه بالمسدس ..

واستوقفنا واحد .. وطلب منا بطاقات العبودية .. فناوئتها إياه وقلبي يخفق كالطبل .. تفحصها وتفحصنا .. ثم تفحصها فتفحصها .. ثم عاد وتفحصنا وتفحصنا .. ثم سمح لنا بالانصراف وقد بدت عليه خيبة الأمل .

على الأقل البطاقات تؤدي عملها كما يجب ...

قرحتي بدأت تصحو وألام لا تطاق تمزقني ، لا بد أن قرحة (سلمى) تفعل نفس الشيء إنه التوتر الدائم والجو البوليسي المرهق للأعصاب .

صوت طنقات رصاص من الشارع المجاور ..

ثم سمعنا صراخاً . ورأينا اثنين من المغول يجران جثة مزقتها الرصاص ، ليلقيا بها في عرض الطريق فوق الشج .. ثم يعودان إلى جولتهما ..

وتجمع المارة حول الجثة المفزع ها هنا هو أن الأمر بدا روتينياً لا يثير الذعر في نفس أحد سواتنا .

إن هذا يحدث كل يوم كما هو واضح ..

وسمعنا الناس يقولون عبارات عديدة :

- « مسكين ! »

- « يبدو أنه ياباتي أو صيني .. »

- « الأحق لم يحمل بطاقة عبودية .. »

- « لقد أعدماء فوراً .. »

ابتعدنا ونحن نقاوم رغبة عارمة في الركض

كالأرانب .. وأقدامنا لينة ترتجف كأعواد المكرونة المسلوقة ..

ومن بعيد نلمح لافتة (فندق) .. فنهرع إلى هناك .

كان متوسط النظافة لكنه ليس حظيرة أبقار على كل حال .. وكان موظف الاستقبال يضع عوينات سميكة ويقف تحت صورة هائلة الحجم للزميل (أوجوتاي) .. رحب بنا .. ثم تفحص بطاقتنا .. ومدّ أذنه يضغط على أزرار جهاز (كمبيوتر) على المنضدة .. وقطب جبينه إذ نظر إلى الشاشة .

سأته (سلمى) في قلق وهي تعدّ رأسها محاولة معرفة ما هنالك :

- « هل ثمة مشكلة ما ؟ »

- « كلا ياسيدتي .. إنه إجراء روتيني حسب قانون

(بيدرا) .. يجب إخطار الشرطة بكل صاحب جنسية أجنبية يطلب ممكناً .. »

وابتسم ابتسامة مفتعلة ..

فشكرناه .. واقادنا خادم أسوي إلى غرفتنا بالطابق الثالث .. وهي غرفة لا بأس بها .. نظيفة نوعاً ، خالية من البراغيث ..

اتجهت (سلمى) إلى النافذة ، فازاحت ستانورها جانباً ، ووقفت ترمق الشارع .. على حين نقدت

الخادم بعض قطع العملة .. وأحسنت غلق الباب .. ثم
عدت لأجدها ما زالت هناك عند النافذة ..

قالت دون أن تلتفت :

- « (سالم) .. سيبلغون رجال الشرطة عنا ! »
هزئت رأسي في حيرة :

- « طبعاً يا ملاكي .. هو قال هذا .. إنه قاتون
(بيدرا) .. »

- « لا أعني بلاغاً روتينياً .. بل سيبلغ الشرطة
أننا مثيران للشك .. ولن تلبث عرباتهم أن تصل إلى
هنا خلال ثلاث دقائق .. »

- « وما الذي يدعوك إلى افتراض الأسوأ ؟ »

- « كانت نظراته مريبة .. وفي زجاج عويناته
رأيت انعكاس شاشة الكمبيوتر .. لقد كان عليها
رسمان لا بأس بهما لوجهينا !... »



٥ - قلندب وسط الزحام .. (من جديد)

كان علينا التفكير السريع ، واتخاذ قرار خلال
دقيقة ..

سألتها وأنا أثب على قدمي :

- « ص .. صورتنا ؟ وكيف حصلوا عليها ؟ »

- « ربما لم تكن صورتنا .. ربما هي صورة رجل
وامرأة آخرين .. لكن المؤكد أنهم يبحثون عنهما
جاهدين ، وقد عمموا الصورة في كل مكان كي يبلغ
أحدهم عن صاحبها .. »

- « ولكن من ؟ »

قالت وهي تنزع الفرفة جينة وذهاباً :

- « من يدري ؟ ربما لم يمت الشرطي .. أو كان
هناك شهود ، استطاعوا أن يحددوا ملامحنا
بالاستعانة برسمي الشرطة .. وربما كان هناك خونة
بين المتمردين وقد أبلغوا عنا .. »

قلت لها :

- « استبعد الاحتمال الأخير .. وإلا لكأت صورتنا
الفوتوغرافية عند الشرطة .. بلا أى داع للاستعانة
بصورة مرسومة .. والآن .. هل نهرب ؟ »
- « طبعاً .. »

صورة الجثة التى مزقها الرصاص على قارعة
الطريق لا تفارق ذهنى ...
يوجد حل واحد للفرار هو أن نفرز بسرعة ..
بسرعة تفوق كل توقعات هؤلاء القوم .. فلا أحد يفر
من فندق دخله منذ خمس دقائق .
وقد خطرت الفكرة لنا فى ذات اللحظة .. فتنطلقا
لا نلوى على شيء ..

ثم وثبنا درجات السلم ثلاثاً ثلاثاً .. وكالرصاصه
انطلقنا أمام عيني الموظف الذى كان يتكلم فى الهاتف
فلم يجد وقتاً كافياً ليرانا ..
واصطدمنا بثلاثة رجال يدنفون من الباب . فلم
يجدوا وقتاً للاحتجاج ..

وتعثرت امرأة داست (سلمى) على حذائها ..
وبعد ثانييتين كنا فى الشارع المزدهم من جديد ..

فأنا المغول يملكون شيئاً من الخيال ، لبحثوا
عن صاحبتين من البخار الأبيض تخرجان من رناتنا .
ونحن نلهث كقاطرة

وأشارت (سلمى) فى ثقة إلى المشهد الذى
توقعه ..

سيارة شرطة حمراء اللون تتوقف أمام مدخل
الفندق . ليخرج منها ستة رجال من المغول يحملون
أسلحة تكفى لاحتلال (موسكو) لو أرادوا .. وهم
يركضون كالذئاب المسعورة إلى الداخل .

ابتعدنا أكثر فأكثر نادمين على أننا لا نملك طاقة
الإخفاء ..

معنى هذا أن الطرق غير آمنة بالمره .. وبطاقات
العبودية لن تحمينا إن لم تؤذنا .. فكل شرطة
(نيويورك) تعرف اسمينا المستعارين الآن .

الحل الوحيد هو أن نرجع إلى (الخاسرين) ،
ونخبرهم أننا فى مأزق .. وأنها سنموت ما لم يعيدوا
لنا الجهاز ..

ولكن .. أى مجرور بالضبط يقود لهم ؟
قالت (سلمى) وهى تنظر إلى الوراء :

.. كان هناك شارع جانبي يقود إلى الشارع الذي فيه الفندق .. وعلى ناصيته متجر (بيتزا) صغير .. والشارع نفسه شبه مهجور .. «

.. « هذا جميل .. وماذا عتق شبكة المجارى المرعبة ؟ »

.. اعتقد أنني عدت المنحنيات .. ثم إننا سنصرخ منادين (كالاها) ..

لا بد أن أذان هؤلاء القوم مرهفة .

لكن الوقت غير مناسب بالطبع ..

لا بد من الانتظار حتى يجن الليل من جديد .

★ ★ ★

إن دور السينما مناسبة دائماً للاختباء ..

كأنت خطانا قد قادتنا إلى حى ملىء بالملاحى

والمسارح ودور السينما .. وأنا لم أر (نيويورك)

من قبل .. لكنى أعرف أن حياً بهذه الصفات لا يمكن

سوى أن يكون حى (هرودواى) ..

الأضواء الملونة الزاهية تتوهج فى كل مكان ..

والموسيقى تتسرب فى الهواء كعطر قوى ..

وكانت هناك عدة دور سينما تعرض أفلاماً أمريكية ،

ميزت بعضها .. لكنى وجدت دارين تعرضان أفلاماً

نها اسماء مغولية .. وكتبت أسماؤها بحروفهم الشبيهة بديدان تتلوى .. « ما رأيك ؟ »

.. « أخشى أن تكون هذه الدار للمغول فقط .. »

لكنى وجدت أسراً عادية تدخل .. أمريكيون يتأبطون أنرع فتياتهم ويدخلون . لم لا ؟ تعالى نر نوع الفن الذى يقدمه هؤلاء الرعاة ..

واتجهت إلى شبك التذاكر ، وطلبت من العاملة الشقراء أن تعطينى تذكرتين .. وأخرجت ورقة بعشرة دولارات .. لكنها بدت مندهشة ..

وببرود قالت وقد أدركت أنني أجنبى :

.. « لا نقود .. الأفلام المغولية مجانية ! »

ولما رأت البلاهة على وجهى ، قالت فى سأم :

.. « إنه الغزو الإعلامى يا صغيرى ! »

وتقدمت مع (سلمى) إلى الداخل لنمر وسط حشد

من موظفى السينما يقفون على الصفين .. إذن

ما أهمية التذاكر ؟ مادام الدخول متاحاً لكل من هب

ودب ؟ لكنهم تفحصوا تذكرتينا مراراً ...

وفى النهاية جلسنا فى القاعة المظلمة المكيفة

- مكيفة بالتدفئة طبعاً - وكان عدد الجنوس قليلا .
يبدو أن الأفلام المغولية غير محبوبة لهذا الحد ..

همست (سلمى) وهى تنظر حولها :

- « لهذا التذاكر مجانية .. »

قلت لها هامسا :

- « لا أحد يرغب فى مشاهدة فيلم صنعه قاهره

فالدكتاتورية لا تجيد صنع الأفلام وقد حدث أن

صنع الروس فيلما عظيما اسمه (المدرعة بوتكين

لمخرج اسمه (إيزنشتاين) .. وظل (هتلر) طوال

الحرب العالمية الثانية يصرخ فى مخرجيه ووزير

دعايته ، كى يصنعوا له فيلما مماثلا له هذا التأثير

فى النفوس . لكنهم عجزوا عن ذلك . لأن

الدكتاتورية - كما قلت لك - لا تجيد خلق افنون »

وانطلق شعاع الضوء يرتقى على الشاشة الفضية .

وهنا رأينا صورة لوجهين : وجه رجل ووجه

امرأة .. تم رسمهما باللون الأسود .. وقد كتب تحتها :

- « مطلوب القبض على (ساره جراهام)

و (جيمس ماكلويد) - التهمة هى السخرية من النظام -

اطلب رقم الهاتف 990 .. كل من يتستر عليهم

يعاقب بالإعدام الفورى وغرامة مائة ألف دولار ! »



Wanted. Sarah Graham
and James MacLeod



وهنا رأينا صورة لوجهين : وجه رجل ووجه امرأة .

ثم اختفت الصورة وبدأ عرض الفيلم ..
ملت على (سنمى) . وسألتها همسا :
« هل هذان هما الوجهان اللذان رأيتهما على
الشاشة ؟ »

« أظن هذا .. إذن لم يكن البحث جاريا عنا ! »
وتنهدت فى ارتياح . لقد تم تعميم صورة هذين
البانسين فى كل مكان . وعلى كل شاشات (الكمبيوتر)
والتلفزيون والسينما .. ومن الواضح أنهم سيجدونهما .
حتمًا سيفعلون ..

سألتها :

« هل نخاطر بالعودة إلى الفندق هذا المساء ؟ »
« لا .. سنخاطر بالعودة إلى المجارى باحثين عن
جهازنا .. »

ثم همست وهى ترتجف :

« لو لم نكن نحن اليوم على هذه الشاشة ..
فستكون هناك غدا ! »

هنا دوى صوت من مكبر صوت يقول بحزم :

« العبد والعبد الجالس فى المقعدين رقم (٥٤)
و (٥٥) ! ممنوع الكلام نهائيا فى أثناء عرض الفيلم
التقيفى ! »

تبادلنا النظرات فى هنع .. إذن هم يسمعوننا ! هل
فهموا ما نقول ؟ لا أظن .. مستحيل أن يستعدوا
بمترجم للعربية تحسبًا لدخول أحدنا دار السينما ..
ولكن .. ربما عرفوا أننا نتحدث العربية ! من
السهل أن تعرف الاسبانية والعربية والألمانية
والعبرية والفرنسية حين تسمعها . حتى ولو لم تفهم
منها حرفًا واحدًا .. فهل يعرفون الان أننا عربيان ؟

★ ★ ★

حاولت التركيز فى أحداث الفيلم .

كان مترجمًا إلى الانجليزية لحسن حظى أو سونه ..
فقد كان أسوأ فيلم رأيته فى حياتى باستثناء بعض
أفلام مخرجنا الاستاذ (...) ..

الفيلم يدور حول أسرة أمريكية متدينة طيبة .. لكن
لها ابنا وغدا شريرا زنيما .. هذا الوغد يدخل
المخدرات ويلهو مع الفتيات .. ثم يحرق سيارة
شرطة مغولية .. الأب العجوز الطيب ينصح الفتى
مرارًا بأن يتعقل ويهتدى إلى الصواب .. لكن الفتى
الفاقد يتمادى فى غيه .. وينتهى الأمر بأن تهاجم
الشرطة المغولية البيت ..

هنا يتمهل الفيلم ليرينا عملية سُلخ جلد الأب العجوز حياً .. وحرق الأم .. وتمزيق أوصال الأخت .. حتى توشك الدماء أن تسيل من على الشاشة لتفرقنا نحن المشاهدين ...

ثم يقول قائد المغول للفتى الأرعن : « هذا هو ماجنيته على أهلك .. إن طاعة المغول - يا أحمق - هي من طاعة الرب .. »

ثم يلقي الفتى عقاباً لا داعي لوصفه حتى لا أرهق أعصاب القارئ .. وينتهي الفيلم بالمغول يعاملون المواطنين المسالمين في تهذيب ورقة ..

هنا سمعت (سلمى) تتحشرج استعداداً للقيء .. إن معدتها لم تتحمل كل هذا الدم الذي ابتلعه على الشاشة ..

- « لا تفعل يا (سلمى) ! تماسكى يا حمقاء ! » لكنها لم تستطع .. وأفرغت معدتها محدثة ضوضاء لا بأس بها ..

هنا دوى الصوت من المكبر يقول :

- « العبد في المقعد (٥٥) ! هل هناك ما لم يرق لك في الفيلم ؟ »
يا للكارثة !

وقفت صائحاً أخاطب لا أحد :

- « إنها .. إنها التهمت طعاماً فاسداً في مطعم .. هذا كل شيء .. »

قلتها بالإنجليزية طبعاً ..

هنا دوى الصوت من جديد :

- « نريد اسم المطعم ! فصاحبه يجب أن يُجلد ! »
يا للمصيبة ! أنهم لا يتركون أية تفاصيل .. عدت أصبح :

- « نسيت اسمه إنه في (بروكلين) .. لا توجد مشكلة »

- « إن صحة العبيد لمن صميم أمن النظام .. حاول أن تتذكر ! »

- « حقاً لا أستطيع .. كانت عربية مقاتق عابرة ! »
ساد الصمت برهة .. ثم قال الصوت :

- « حسن .. اجلس يا عبد .. سنبدأ الأسئلة حالاً ! »
أسئلة ؟ ما هو الموضوع ؟ ماذا يريدون ؟

- « المقعد رقم (١١٨) .. ما اسم الصبي الرقيق في الفيلم ؟ ! »

هنا نهض كهل وقور الشكل من المقعد (١١٨) .. وفي تردد قال :

- « اسمه (جيمى) ؟ »

- « الإجابة خطأ ! ستتلقى عشر جلدات حالاً ! »
وتقدم شرطى يرتدى زياً أحمر ، ويحمل سوطاً ،
كى يقتاد الكهل إلى باب خلفى .. وسمعنا صوت
الصراخ وصوت ضربات السوط !

همست فى أذن (سلمى) مذهولاً :

- « يا نهار أسود ! »

هنا دوى الصوت :

- « المقعد رقم (٢٠) .. من هو مخرج الفيلم ؟ »

ومن مصوره ؟ »

نهضت شابة حسناء من مقعدها .. وبثقة صاحت :

- « المخرج هو المغولى العظيم (كيشنجا) والمصور

هو المغولى العبرى (نيسابو) .. »

- « أحسنت ! واستطعت الفوز بحقنة من لقاح

الطاعون ! »

هللت الفتاة فى حماس .. وهرعت إلى الباب

الخلفى ..

فهمت ! هذا هو المبرر الوحيد الذى يغرى الناس

يدخلون السينما :

أمنهم فى جرعة من لقاح الطاعون تحميهم من
الموت .. ولو خسروا فنن يكون الأمر أسوأ من بعض
جلدات ..

وهم - المفعول - يرغبون فى التأكد من أن الناس
رأوا الفيلم كاملاً .. فلم يشرذوا ولم يثرثروا فى أثناء
العرض .. لهذا يعقدون هذا الامتحان بعد العرض
للتأكد من أن الرسالة (التثقيفية) قد بلغت الناس
كاملة ..

المشكلة هى أننى ظننت شارد الذهن طيلة عرض
الفيلم .. فلم أر سوى خطته العامة ..

هنا دوى الصوت من جديد :

- « المقعد (٥٤) ! »

ارتجفت ساقاى .. واستعدت الشعور القديم الذى
تركته وراءى فى المدرسة الابتدائية ، حين كنت أسمع
اسمى يتنادىنى به معلم الحساب !

ورفعت رأسى لأسمع الصوت يسأئنى :

- « ما هو رقم سيارة الشرطة التى أحرقها الصبى

الرقيع فى الفيلم ؟ ! »

بدا مظهرى كأكثر التلاميذ فشلاً وغباء .. وأنا أبحث
فى ذهنى عن معلومة أعرف أنه لا وجود لها أصلاً ..

هنا سمعت صوتًا هامسًا يفخ من خلفي (وكان
رقيقًا ناعمًا) :

- « (١١٧ - ب) يا أحق ! »

ودون أن أنظر خلفي ، التفتت الكرة وصحت :

- « (١١٧ - ب) ! رقمها كان (١١٧ - ب) ! »

هنا حدث شيء غريب

★ ★ ★

٦ - هل هو الأمل ؟

في هذه المرة لم يكن هناك لقاح ولا جند ..
لقد تقدم رجل الشرطة الأحمر إياه عبر الصالة ،
حتى وصل لموضعي ثم اتحنى لييرمقتي في حدة ..
وأخرج فكرة صغيرة ..

وبإنجليزية بشعة سألتني :

- « أين بطاقة عيوديتك ؟ »

مددت يدا مرتجفة وقدمتها له .. لا بد أن الأمر
يتعلق بالذبح هذه المرة .. ورأيتَه يدون ما فيها في
مفكرته .. ثم أعادها لي وعاد يسأل :

- « أين تقيم الآن ؟ »

- فندق (العبيد السعداء) .. غرفة ٢١٨ . »

أعاد المفكرة إلى جيبه وقال :

- « سنتصل بك ! »

وأنصرف تاركًا إياي في حيرة لا تصدق ..
(سلمى) مثلي ..

ودونى صوت صفارة عميقة ، فنهض المشاهدون ..
إذن لا بد أن الامتحان قد انتهى .. نهضت مع (سلمى)
وأنا أقسم فى سرى ألا أدخل دور السينما بعد اليوم
حتى لو لم تكن مغولية ..

وشممنا هواء الشارع البارد .. وداسنا أقدامنا
على الثلج فشعرنا براحة غامرة .. دسست كفى فى
جيبى سترتى ، بينما أحكمت (سلمى) لف كوفيتها
على عنقها .. وسألتنى :

- « ما معنى هذا ؟ »

- « لا أدرى .. »

هنا سمعت من يقول بالعربية بصوت خافت :

- « معناه أنك تصلح لتكون بصاصاً لهم ! »

التفت فى دهشة .. لأرى رجلاً فى منتصف العمر
له شعر فاحم السواد وشارب كث ناعم .. يرتدى معطفاً
رمادياً ، ويمسك بيده يد صبية فى العاشرة من عمره ..
ويشبهه إلى حد ما ..

وعندها عرفت سر اللهجة التى لفظ بها الرجل
عبارته .. فمظهره يوحي بأنه من الشام .. أو ربما
أبعد .. ربما هو تركى يتكلم العربية ..

تظاهرت بالغباء .. ونظرت له فى عدم فهم .. لكنه
قال :

- « لا تحاول التمثيل .. أعرف أنك عربى .. ربما
مصرى كذلك .. »

ولا تخش منى فأنا مثلك أحمل بطاقة تقول ابنى
هندى .. »

ومذ يده ليصافحنى .. كان قوياً موحياً بالثقة ..

قال باسمًا :

- « أنا تركى أدعى (قاسم) .. وهذا هو ابنى
(سيف) وكنت قد دخلت معه السينما أملاً فى الفوز
بجرعة من لقاح الطاعون له .. هلم صافح عمك
يا بنى .. »

مذ لى الصبى الجميل ذو العينين الذكيتين يده
مصافحاً .. وابتم برقة ..

قال الرجل :

- « والآن .. هيا نجد مكاناً هادئاً نتكلم فيه .. فليس
من المستحب أن نقف ها هنا نتكلم بالعربية .. وإلا
كان من الأفضل لو عنقنا لافتة تعلن جنسيتنا »
ومشينا نحن الأربعة حتى وجدنا متنزهاً شبيه خال
من الناس ..

كانت هناك أشجار يكسوها الجليد .. ومقاعد
متناثرة فاخترنا أحدها وجلسنا . وأشار الرجل
للصبي كي يبتعد ليلهو قليلا . ثم قال وهو يخرج
لقافة تبغ من عبته ويشعلها ، بينما الليل يغلف
المكان :

- « إن (سيف) هو منقذك الخفى الذى تكلم فى
ظلام السينما . إنه جم الذكاء ذو ذاكرة فوتوغرافية .
ولا اعتقد أن أحدا كان يستطيع تذكر رقم السيارة
سواه .. »

سأله وأنا أنحنى للأمام كي لا أترك كلمة تفت
منه :

- « لماذا أخذوا بطاقتى ؟ وما معنى كلامك ؟ »

ابتسم بثقة .. وقال :

- « لقد اتبهرتوا بقوة ملاحظتك .. ووجدوا أنك
تصلح جاسوسا لهم وهو شرف - لو تعلمون - كبير
سيتيح لك هذا مزايا مدنية أكثر :

راتب مرتفع - حصة تموينية أعلى - نقاح الطاعون
والدرن . إلخ .. ولن يكون عليك سوى إبلاغهم بكل
ما يريب .. »

- « مثل ! »

- مثل رجل شرطة يضع حذاءين مدنيين . مثل
رجل يزعم أنه هندي - على غرارى - وينتقم شطيرة
من اللحم البقرى .. مثل يابانى لا ينحنى عندما يحييك ..
مثل انتفاخ وراء سترة مدنى يوحى بوجود سلاح «
- « وإذا رفضت ؟ »

- « لا ترفض ولا تقبل . أنت حر . كل ما يمكنك
زعمه هو أنك لم تر ما يريب . المشككة الوحيدة هنا
هى أنهم سيبحثون عنك ! »

- يبحثون عنى ! »

- « طبعاً .. »

ونفت دخان التبغ فى الهواء وأضاف :

- « سيبحث (أوجوتاي) فى ذاكرته الإلكترونية
عن أى معلومات تشير إلى دخولك البلاد فلن يجد
عندها صندوق الطبول ! »

هنا تكلمت (سلمى) للمرة الأولى :

- « (أوجاتاي) هو جهاز حاسوب ؟ »

- « تعنين (كمبيوتر) ؟ طبعاً .. إنه الحاكم العام
للولايات .. إن الصورة التى ترينها جوار اسمه

لا تعنى شيئا .. هي مجرد محاولة لجعله شيئا ملموسا
للعامة .. أما العالم فيسيطر عليه (كمبيوتر) عملاق
اسمه (هولوكو) .. وما زلت أرى أنكما فى مأزق .
كان عليكما التصرف بحذر أكثر ما دامت بطاقتكما
مزورتين .. »

ورحنا نتأمل المرج المغطى بالجديد . وفى ذهن
كل منا من الأفكار السوداء ما يكفيه .. لم تكن فى
خطر حين دخلنا دار السينما وإن حسبنا ذلك .. أما
الآن فنحن فى خطر لا شك فيه . وقد صارت العودة
إلى الفندق مجازفة حقيقية ..

وهنا تذكرت الفيلم السخيف فقت لرجل :
« تبأ لها من دعاية فجأة ! ما الذى يدعو هؤلاء
الوحوش لمحاولة تقديم فيلم سينمائى ؟ ظننتهم
لا يبالون بالتأثير الإعلامى .. »

« هم كذلك .. لكن المستعمر يحتاج دوماً إلى
هذا التأثير .. فهم - مهما بلغ عددهم - لا يستطيعون
امتلاك عدد كاف لاحتلال العالم والسيطرة عليه ..
لا بد من إرهاب الناس وغسل عقولهم .. والسينما
والتلفزيون يقدمان هذه الخدمة بشكل جيد .. والمشكلة
هى أنهم محاربون وليسوا فنانين ! »

عدت أسأله :

- « وماذا جاء بك إلى هنا ؟ »

- هرباً مما هو أسوأ .. إنهم يقومون بحملة إبادة
شرسة فى غرب وجنوب آسيا .. جئت إلى هنا حيث
لا يتوقعون أن يروا عرباً أو مسلمين .. وقد ساعدنى
(أبو فراس) على التسلل .. »

سألته (سلمى) وهى تطوق عنق الصبى بذراعيها :
- « ما سرّ تعصبهم المجنون ضد المسلمين
والعرب عامة ؟ »

تنهد .. وألقى ببقايا لفافة التبغ بعيداً .. وقال :
- « لقد قام الكمبيوتر العملاق (هولوكو) بحسابات
معقدة ، وإجراءات (سيبرنية) لا يمكن وضعها ..
فى النهاية افترض أن الخطر الذى يهدد إمبراطوريه
المغول سيكون خطراً إسلامياً .. وربما عربياً .. »

« النتيجة : صار على المغول أن يتأكدوا من إفناء
كل ما هو إسلامى أو عربى .. والعرب المسيحيون
يلقون معاملة لا تقل سوءاً على كل حال . فهم عرب
قبل كل شيء ... »

تبادلت و (سلمى) نظرة فهم ...

لم يكن الكمبيوتر مخطئاً على الإطلاق .. ومن الواضح أن مصممه عبقرى ..

- « هل المغول هم من صمموه ؟ »

- « بالطبع لا .. فهم لا يجيدون سوى حرق المدن .. لقد صنعه اليابانيون لهم تحت تهديد السلاح .. وانيوم يوجد الكمبيوتر (هولانكو) في عاصمة المغول في (سيبيريا) فوق قمم الثلوج .. ومن هناك يرى ويسمع ويعرف كل ما يجري في العالم .. »

كان الصبي قد ابتعد كثيراً .. فصاح الرجل بهيب به أن يعود إلينا .. لكن الطفل كان يلهو فوق الجنيد .. يلهو بحركات أقرب إلى رياضة (الكونج - فو) .. وقد أبدى رشاقة وخفة غير مألوفتين ..

قلت للتركي :

- « صبي جميل نكى .. »

في فخر غمغم :

- « بل ويجيد استخدام (الكمبيوتر) .. ويجيد أكثر الرياضات .. إبنى لأتساءل عما سيكونه بعد عشرين عاماً .. من يدري ؟ ربما لن يعيش لهذا الحد ! »

طقطقت بلساتي .. وأصدرت (سلمى) أهة استنكار .. وقالت :

- « أعوذ بالله ! لم هذا التشاؤم ؟ »

قال وقد اكتسى وجهه بقناع من الجهامة :

- « في عالم كهذا يغدو كل شيء ممكناً .. لقد

رأيت مصرع أمه بعيني .. »

- « أسفه ... »

- « لو مات - وهو وحيدى - لكانت نهاية أسرة

(قطز) كلها ! »

(قطز) !؟

وتبادلت و (سلمى) نظرات الذهول ...

★ ★ ★

٧. الفجأة ..

ارتجفت .. لكنى حاولت التماسك وسألته :

- « هل (سيف) .. هو (سيف الدين) ؟ »

ابتسم ساخرًا وقال :

- « طبعا .. أنتم العرب أدرى بذلك .. »

- « أى أن اسمه هو (سيف الدين قطز) ؟ »

- « طبعا .. لكن اسمه فى بطاقة العبودية هو

(رام سادجاهى) .. من (بومباى) .. هندوسى

الديانة .. »

ثم نهض معلنا رغبته فى الانصراف ..

وقال لنا وهو يمسك بيد الصبى ، ويشير لنا إلى

الشارع القصى :

- « ستجهان إلى هناك . إن الظلام قد توغل بما

يكفى .. يوجد هناك متجر للحيوانات الأليفة .. اسألا

عن (جيمى) وقولا له إنكما من طرف (قطز) ..

سيدبر لكما سبيل الاختفاء .. »

ولوح بيده مودعا :

- « أراكما على خير .. »

وابتعد بالصبى . والظلام يغلفهما حتى لم نر

منهما سوى علامتى تعجب غير متماثلتى الطول ،

تبتعدان فى بطء عن عيوننا الحيرى ...

همست (سمنى) وهى ترمقهما :

- « إنه هو ! »

- « حتما هو .. »

- « إنها صفات قائد .. ذكى سريع الملاحظة

رياضى الجسد .. »

- « والمغول لا يعرفون ... »

- « إنهم لا يستطيعون التنبؤ .. ولن يفعلوا كما

فعل فرعون (مصر) حين ارتقب ظهور سيدنا

(موسى) .. »

- « حسن .. هذا العالم يسير فى الطريق

الصحيح »

- « حقا ... »

وننهضنا متجهين إلى متجر الحيوانات الأليفة .

★ ★ ★

بالإضافة إلى القطط والكلاب والسلاحف - وهي
أشياء معتادة جدًا - كان هناك ببر حديث السن وسحلية
(إخواننا) .. .

برز لنا شاب يحلق رأسه بأسلوب (الباتك)
الشهير .. وقال لنا حين رأى دهشتنا :

- « لا يثير هذا دهشة أحد منا .. فالسادة المغول
يحبون هذه الحيوانات لأنها تذكرهم بموطنهم .. هل
لى أن أقدم لكما خدمة ؟ »

كانت (سلمى) مشغولة فى تأمل القطط الصغيرة
التي تهيم بها حبًا ، بينما قلت وأنا أتحاشى نظرات
السحلية المزعجة فى قفصها الزجاجى :

- « نبحث عن (جيمى) .. »

- « أنا هو ... »

- « جننا من طرف (قطز) .. »

تلفت حوله فى ذعر حين سمع الاسم .. ثم ابتلع
ريقه وصاح :

- « بحق السماء ! لا داعى لإذاعة هذا فى المذيع ..
تعاليا ! »

وهرع إلى باب خلفى ففتحه لنا .. وكدسنا بالداخل ..

ثم تلفت حوله من جديد وهرع ينضم لنا فى مخزن
خبث الرائحة سائلًا :

- « ماذا هناك ؟ »

- « مخبأ .. إنهم يبحثون عنا .. »

- « هل أنتم من (الخاسرين) ؟ »

- « تريد الاتصال بهم .. »

- « مائتا دولار ! »

تبادلت و (سلمى) نظرات الارتباك .. كنت أظن
الوعد ثوريًا فاتضح أنه مجرد تاجر فى سلع ممنوعة ..
ثم من أين لى بالمال ؟
قال مبتسمًا :

- « لا تقلق .. فأنا أقبل الدولارات المزيفة ! مائتا

دولار مزيف أو خمسون دولارًا أصيلًا .. »

- « لا بأس .. »

كان (الخاسرون) قد أعطونا زهاء ألف دولار ..
ولا ننوى البقاء حتى تنفذ .. فلن أعمل عامل بناء فى
أرض المغول هذه أبدًا ..

★ ★ ★

نحن الآن في شقة (جيمي) الواقعة خلف المحل ..
كانت حقاً شقة ثائر متمرّد .. وشقة تاجر سوق
سوداء .. وشقة لص .. وشقة عزب يحرق شمعة
حياته من طرفيها ..

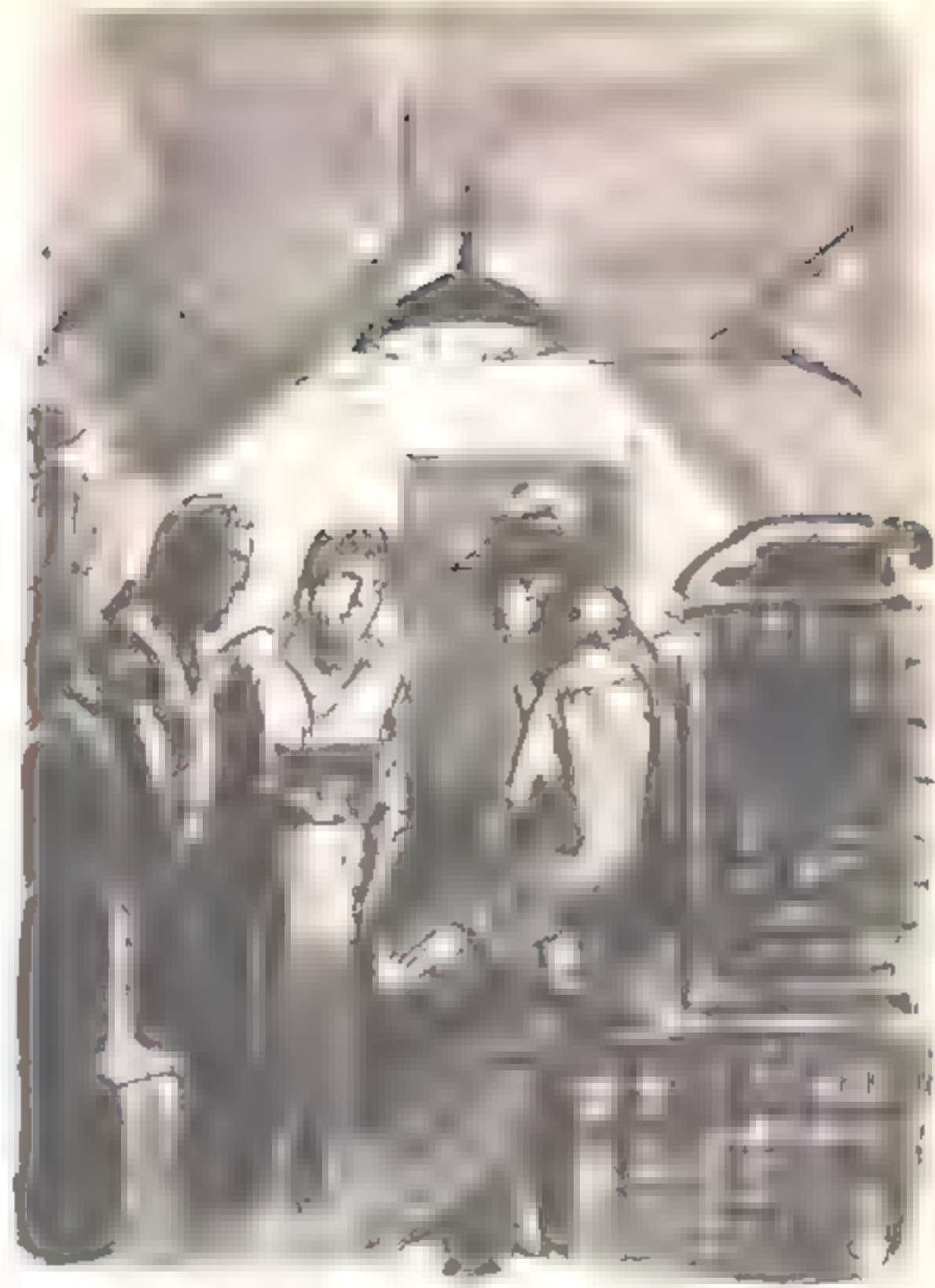
زجاجات في كل مكان .. بقايا طعام .. صناديق
ملأى بسنّع ممنوعة .. جوارب مكوّرة في كل صوب ..
أحمر شفاه .. أعقاب سجائر ..

وفي ركن الصالة كان هناك أكبر جهاز تلفزيون
رأيت في حياتي .. ربما هو ٢٠٠ بوصة لو كان
هناك شيء كهذا ..

- « مرحباً بكما .. الليلة تبيتان هنا .. وغدا يراكما
(الخاسرون) .. »

وكان قد ابتاع بعض (البيئزا) بالأنشوجة ..
فوضع شريحة أمام كل منا ثم صب لي كأساً من
(الهباب) إياه .. لكنني رفضت ..

فتح جهاز التلفزيون ليسلينا
وعلى الشاشة العملاقة رأينا مشهداً مهولاً ..
كانت طائرات غريبة الشكل - لا بد أنها
(خان - ١٩) - تحلق في تشكيلات متوالية فوق مدينة
لم أميزها جيداً ..



وهرع ينضم لنا في مخزن خبيث الرائحة سائلاً :

- « ماذا هناك ؟ »

- « هذه (طهران) .. »

قالها (جيمى) مفسراً وأراح ساقيه على أريكة
قرب مجلسه ..

وعلى الشاشة راحت الطائرات سرباً وراء سرب
تلقى عبواتها الحارقة وقذائفها عنى المدينة ، التى
استحالت كتلة من اللهب والدخان الأسود ..

ثم تقدمت طائرة هائلة الحجم وحدها .. لتلقى
بقنبلة غريبة الشكل بدورها .. عندها تصاعدت
سحابة عشن الغراب الشهيرة ، المميزة للانفجار
النووى ..

قال (جيمى) باستمتاع كمن يرى فيلماً مسلماً :

- « هذه قنبلة (زيترو) .. لقد ألقوا عشراً منها

على آسيا الشهر الماضى . »

هنا سألته (سلمى) سؤالاً غير معتاد كدأبها :

- « من يلتقط هذه الصور ؟ »

- « الألمان طبعاً ! فالمغول لا يغامرون بإرسال

مصورين مغول إلى هذا الجحيم .. لهذا لديهم فريق

تصوير من العبيد الألمان .. »

سألته بدورى :

- « وماذا فعل الإيرانيون ؟ هل هى ثورة يقمعها

المغول ؟ »

نظر لى وضحك حتى سال الدمع من عينيه :

- « ماذا بك ؟ تبدو كأنك من عالم آخر .. بالطبع

لم يفعل الإيرانيون شيئاً .. إنها حملة إبادة وكفى ..

مثلاً تقوم أنت بتطهير مطبخك من الصراصير لا أكثر ..

إن المغول يعتبرون كل شعب آخر نوعاً من الحشرات

لا لزوم لوجوده أصلاً .. »

وعلى الشاشة ظهر الجرحى والأسرى .. وهم طبعاً

من البلاد المتاخمة لـ (طهران) .. كانوا فى أسوأ

حال والحق يقال ...

وعلى الشاشة بدت مذبحة مغولية ربع حسناء ..

تقول بلغة إنجليزية جيدة :

- « وهكذا تمكن فرساننا الأبطال بخيولهم النفائفة

من إزالة (طهران) من على وجه الأرض ! ترى

أين يكونون غداً ؟ فى (إسلام آباد) ؟ فى (القاهرة) ؟

فى (دكا) ؟ لا أحد يدري ... »

وتعالت موسيقاً فاخرة ربما هى افتتاحية السيوف

لـ (خاتشوبريان) ..

ثم ظهرت صورة نموكب طويل يحمل أفراد الهدايا ..
وقد بدا عليهم الانكسار والذل .. وتعالى صوت المذيعة
يقول :

- « ها هي ذى وفود الأمم تقدم هداياها إلى قائد
جيش المغول العظيم .. وكلهم خضوع وانكسار .. »
هنا دوى صوت مغنية (أبا) تغنى : الفائز يأخذ
كل شيء ..

إخراج جيد مؤثر لا أظن المغول قادرين عليه ..
فلا بد أنهم استعانتوا بمخرج إيطالى عبقرى ليصنع
لهم هذا ...

سألت (سلمى) مضيفتنا :

- « هل التلفزيون لا يقدم إلا هذا السخف ؟ »
- « أحياناً يقدم منوعات مغولية .. أو أفلاماً .. لكن
هذا نادر .. »

- « إذن فنتنعم بالصمت .. »

وأطفأ جهاز التلفزيون .. ثم دعانا إلى النوم ، وقال
إن لديه أريكة تصلح فراشاً .. ولنسوف نستعملها
لنوم تاركاً فراشه لنا .. وفى الصباح يمكننا أن نلحق
بالخاسرين الذين سيوزون لنا بطاقتى عبودية جديدة ..

والأهم ها هنا أننا سنحاول استرداد جهازنا من
(ماك - جورج) هذا .. وعندئذ يكون الفرار .. الفرار
الجميل ..

- « مساؤك حبيب .. »

قالت لها لى (سلمى) همساً فى الظلام .. وكنت قد
فشلت تماماً فى تعليمها أن تقول (مساء الخير)
مثلاً .. فمن العبث أن أقول لها أين الصواب .. فلا
صواب هنالك والأمور كلها نسبية بين العوالم .. لذا
قلت :

- « مساؤك حبيب .. »

ونمت بقلب مثقل ..

★ ★ ★

دخلنا شبكة المجارى من جديد .. وعبر ممرات
أكثر تعقيداً قادنا (جيمى) إلى المكان الذى كنا فيه
فى البداية ..

ومن جديد رأينا الثوار يفعلون ذات الأشياء ..
وما زال بعضهم نائماً حتى العاشرة صباحاً وقد بدا
عليه إرهاق مريع .. إنهم ليسوا كسالى بل وطاويط ..
يقضون ليلتهم فى عمليات التخريب واقتناص المغول ،

ثم يعودون ليأكلوا وجبة خفيفة ، ويناموا حتى الظهر ..
كان (كالاهان) عاكفاً على تنظيف بندقية أنية
سرقها من الشرطة ، حين رانا .. فنظر لنا نظرة
عابرة وواصل ما يقوم به ، وهو يقول :

- « المصريين ؟ مرحباً .. هل أبليتما بلاء حسناً ؟ »
تولّى (جيمى) الرد :

- « إن الشرطة تقلب الأحجار كلها بحثاً عنهما ! »
- « بهذه السرعة ؟ »

وهنا ظهر الغول الأدمى (مئاك - جورج) وهو
يصدر خوار الثيران ، ويلتهم فخذ خنزير على سبيل
الإفطار .. فما إن رانا حتى تكدر مزاجه ..

صاحت (سلمى) فى كياسة :

- « مرحباً يا سيد (ماك - جورج) .. أما وقد
تأكدت من سلامة طويتنا أرجو أن تعيد لى الجهاز .. »
اتسعت عيناه فبدا صفارهما واضحاً .. وقال :

- « أى جهاز ؟ »

- « الجهاز الذى أخذته منا بقوة العضلات منذ

يومين .. »

بصق على الأرض .. وقال وهو يقضم شريحة أخرى :

- « أه ! ذلك الجهاز القذر ؟ إنه ليس معى ! »

- « وأين هو ؟ »

- « عند (لارى هولدن) أو (الجميل) كما

تسميه .. إنه يحب هذه الأشياء .. »

- « وأين (لارى هولدن) ؟ »

- « إنه لم يعد بعد .. لقد ذهب أمس لتفجير مركز

الاتصالات ، ويبدو أن المغول قد التهموه حياً ! والآن

كفى ثرثرة فأتّم تفسدون عملية الهضم ! »

تبادلت و (سلمى) نظرات ذاهلة ..

كنت أعرف أن شيئاً كهذا سيحدث .. لكن ما كان

بوسعى منعه .. لهذا لم يعد يعينى أى شىء سوى

التعبير عن حنقى الشديد ..

صحت فى غل :

- « أنت برمىلى ملئء بالأوهال ! »

- « هه ؟ »

وتدلت شفقه السفلى فى غباء .. قطعة لحم

تساقطت من فيه وهو لا يصدق أن أحداً يشتمه ..

لا بد أن هذا لم يحدث منذ ثلاثين عاماً ..

عدت أقول وأنا أحاول تذكر الشتائم الإنجليزية التى

كنت أسمعها بكثرة فى الأفلام فى عالمى :

- « أنت أحمق ! كيس من القاذورات .. لا أكثر ! »
هنا بدأ يفهم .. فتقدم نحوى .. وانحنى متراً كي
يقرب رأسه من رأسي ..
ثم وجدت نفسي أطيء إلى الحائط لأصدمه .. وأنفي
لا ينزف لأن أوعيته الدموية تهشمت مع عظامه ..
وطار ستة من الرجال كي يتعلقوا بالرجل محاولين
تهديته . مرددين عبارات على غرار (خليك كبير)
(امسحها في ..) ..

أما هو فراح يزمجر .. لم يكن يسب أو ينعن . بل
يطلق زمجرة دب ثائر . واللعب يتطاير من شذقيه .
ساعدتني (سلمى) على النهوض . وكان وجهي
قد تحول إلى قطعة من (الهامبورجر) المصنوع في
المنزل .. لكنني كنت مستعداً للتمادي ..
وبدا الثور يهدأ .. لكنه ظل يصوب إلى نظرات
نارية نووية ..
صاحت (سلمى) وهي تحاول إصلاح شفتي
الممزقة :

- « هل جننت ؟ كل هذا من لكمة واحدة وجهها
لك .. وبرغم هذا تريد المزيد ؟ »

- « لقد استفزني الوغد .. الوغد .. وكان عليه أن
يت .. يتقى شر الحليم إذا غضب .. ضب .. ضب ! »
لقد صار علينا أن نبقيها هنا للأبد !
يا لحماقتك يا (سلمى) ، ويا لديكتاتوريتك ! لو
لم تتمسكي برأيك لكنا الآن بعيداً في عالم آخر ربما
هو إلى الجنة أقرب ..
يجب أن نجد (لاري هوندن) حالاً ...

★ ★ ★

٨ - أنفذوه !

من الحمق أن أفترض أن هذا الحشد من الثوار لا يضم جاسوسين أو أكثر من جواسيس المغول .. الأمر سهل ويقينى .. لكنه يبدو عسير التصديق حين ترى هذه الوجوه الجادة المصممة على الانتقام .. من الصعب أن أتصور هذه الفتاة النسي امتلاً وجهها بالتجاعيد والمقت ، وهي تعالج شحنة ديناميت .. من الصعب أن أتصور أنها تمثل دوراً محبوباً .. ومن العسير أن أتصور هذا عن الوحش (ماك - جورج) أو (كالاهاى) الودود .. كلهم يبدوون صادقين كالصدق ذاته ..

لكنى أعرف ذلك الآن جيداً .. وكان يجب أن أصدق ..

★ ★ ★

حينما برز لنا من النفق رجل له شعر ناعم وشارب كث .. وكان يحمل بين ثراعيه جسداً صغيراً يلفه بمعطفه ..

عندها عرفت أن هذا هو (قاسم) التركى .. وأبركت من وجهه أن هناك كارثة ما .. كارثة لا جدال حولها ..

كان ملهوفاً .. لكنه تقدم وسط الرجال المندهمسين ، وأرقد الصبى على إحدى الحشايا المتناثرة .. ثم ركع جواره وقال :

- « إنه محموم .. بهذى منذ ساعات .. »

يا لعاطفة الأب !

لقد هوت به من عليائه التى كان فيها شديد الثقة والكبرياء إلى حضيض الانهيار النفسى والمعنوى .. كأنه يفتش عن قدم إنسان يلثمها مقابل أن يعود ابنه سالماً ..

قال (جيمى) مفسراً للمجتمعين :

- « هذا (قاسم) .. أو (سارو سمادهى) حسب بطاقة العبودية .. »

- « نعم .. »

وجئنا أحدهم على ركبتيه جوار الصبى .. وتحسس عنقه وشفتيه اللتين غطتهما قشرة بيضاء لزجة .. وقال :

- « التَّشْخِصُ واضح يا (قاسم) .. وأنت تعرفه
كما تعرفه ! »

اتسعت عينا الأب .. وتفتت حوله كأنه يبعد اتهامًا
مريبًا :

- « لا ! إن (سيف) نظيف جدًا .. ولن يصاب
بالـ .. بالـ .. »

- « إن برغوثًا واحدًا يكفي كما تعلم .. »

قال (ماك جورج) بصوته الغليظ :

- « نحن لن نسمح ببقاء حالة طاعون دملى
ها هنا ! »

صاح الأب في توحش وعيناه تدمعان كمذا :

- « لكن إذا عدت به لدارى سيموت بالطاعون ..

أو بنيران فرقة التطهير المغولية .. وهو .. هو لا يطبق

الحر ! »

وسال الدمع ليغرق خفيه .. لكن (ماك - جورج)

قال :

- « هذا قدرك .. إن مصلحة المجموع أهم من

مصلحة الفرد .. »

- « لن أفعل ! »

- « لا مجال للاختيار .. »

- « أيها الألب الفظ ! أنا أستطيع أن .. »

واندفع ليضرب العملاق الزنجى .. وهو خطأ يتكرر
كثيرًا هذه الأيام .. وبعيني رأيت كيف كنت أحمق ضعيفًا
عندما فعلت الشيء ذاته منذ ساعات .. إن مهاجمة
الألب الأشهب بيدك العارية يجعلك لا تدري ما يحدث
لك حقًا ..

وراحت (سلمى) تجفف الدماء عن وجه الرجل
وثيابه ..

بينما مشيت أنا لأقف أمام (ماك - جورج) .. لقد
صار هذا الفتى مصدر كدر دائم لى .. وكان على أن
أتكلم ..

قلت لهم بصوت متحشرج :

- « اسمعوا يا حمقى .. لن أدخل فى التفاصيل

لكنى أقول لكم إن هذا الصبى المريض .. هذا الغلام
المحتضر .. هو أملكم الأخير فى الخلاص من المغول !
لقد تأخر فى الظهور سبعة قرون كاملة ، لهذا سيطر
المغول عليكم .. لكنه قد ظهر الآن .. وهو الذى
سيكسر شوكة هؤلاء الرعاة المفترسين .. لكنكم
- بغياء - تتركونه يموت .. »

اتسعت العيون تتلمع بنظرات عدم التصديق . بل
الاستعداد لتمزيقي ..

وسمعت من يقول :

- « ها ! إنها نبوءات العرافين إذن ! من أنت

يا فتى ؟ (إيليا) ؟ »

- « لا تصغوا لهذا الهراء ! »

قلت بنبرة أقوى :

- « أنا أعرف ما أقول فلا تنتظروا حتى يموت

الصبي وتزعموا أنني كاذب . إنني أؤكد بكل أمانة أن

من سينقذ هذا العالم يدعى (قطز) .. (سيف الدين

قطز) .. ولا أعرف واحداً آخر بهذا الاسم سوى

الصبي .. »

- « والدليل ؟ »

- « لا دليل سوى كلامي .. لكن كمبيوتر المغول

- ماذا كان اسمه ؟ - قد استنتج شيئاً مماثلاً .. لهذا

تعليمات المغول تقضى بإبادة العرب والمسلمين عن

بكرة أبيهم .. وغارة (طهران) التي وقعت أمس

تقول إنني صادق .. »

ورفعت أصبعي السبابة مؤكداً :

- « حسابات التنبؤ المستقبلية للكمبيوتر تقول إن

الخطر القادم عربي أو مسلم .. وأنا - بمصادري التي

لن أعن عنها - أقول إن الخطر القادم هو صبي من

أصل تركي يدعى (سيف الدين قطز) .. فهل مازلتكم

مصرين على الإنكار ؟ »

تبادلتوا النظرات . واضح أن الشك بدأ يغزو

نفوسهم ..

وقال (كالاهاز) وهو يتأمل الصبي :

- « لماذا لا نحاول إبقائه يا (ماك - جورج) ؟ من

الخسارة أن يموت ملاك صغير كهذا . »

ظل الثور الأسود صامتاً يفكر ..

ثم - بعد برهة - أشار بيده إلى ممر جاتبي ..

وغمغم :

- « ليكن .. لكن احرص على عزله عن

الآخرين ... »

وحمل الأب ابنه إلى المكان المقصود ..

كانت هناك حشية على الأرض .. ومصباح

(كيروسين) .. ولا شيء آخر سوى رائحة المجاري

القوية ..

شمرت (سلمى) عن نراعيها .. وصاحت :

- « سأعني به . اعرف اننى استطع العافية
به .. »

وقمنا بتجريد الصبى من ثيابه ، واحرقناها بغذاية ..
ثم تخلصنا من ثيابنا أيضا وارديننا ثيابا نظيفة .
ووضعت (سلمى) قناعا صغيرا على أنفها .. وراحت
تضع الكمادات للصبى مستعملة دلوًا مليئًا بثلج
مجروش من الشارع ..

- « نحن بحاجة إلى مخفضات حرارة وبعض
(الستربتوماسين) .. »
سألتهما فى دهشة :

- « من أين تعرفين ما ينبغى عمله ؟ »

- « إنك تقرأ هذه الأشياء أحيانا .. »

المشكلة هى أن الدواء لا يصرف فى هذا العالم إلا
بتذكرة طبية . ولا يمكن الحصول على واحدة إلا فى
وجود طبيب .. والطبيب سيبلغ فرق الحرق وإلا
احترق هو شخصيًا ..

قال (كالاهاى) وقد بدا الأمر يثير اهتمامه :

- « إن (أبو فراس) قد جنب لك بعض المعونات
الطبية ربما وجدنا بينها ما يصلح .. »



وراحت تضع الكمادات للصبى مستعملة دلوًا مليئًا بثلج
مجروش من الشارع ..

واقفاد (سلمى) إلى ثلاثة صناديق متراصة ملأى
بالأدوية .. ولم تكن الأسماء التجارية معروفة لنا
لكننا رحنا نتهجى الحروف حتى وجدنا كلمة
(ستربتوماسين) .. وبعملية حسابية بسيطة عرفنا
الجرعة الملائمة للصبي ..

كان المسكين يهذى .. وقد تحشرج صوته ، فقم نعد
نفهم شيئاً مما يقول . وحين عرّت (سلمى) خن
فخذة وجدنا العلامة المشنومة إياها ..

الخراج الساخن الأحمر الثار

- « ثمة فرصة لا بأس بها فى أن ينجح فتح الخراج
فى إنقاذه .. »

- « وكيف تعرفين هذا ؟ »

- « قرأت عنكم تاريخ الحملة الفرنسية فى
(عكا) .. وعرفت ما كان أطباء (نابليون) يفعلونه
لإنقاذ مرضى الطاعون الفرنسيين . »

- « والعدوى ؟ »

- « لن تحدث .. لقد قطع (ديجن) طبيب الحملة
الفرنسية فخذة بمبضع ملوث بصديد من جندي
فرنسى يحتضر .. ولم يحدث له شيء .. »

وطببت خنجراً . فكان عندها خمسة منها ..
وسرعان ما بدأت تمارس مهمتها البشعة ..
رباه ! لقد كانت (سلمى) ثابتة الجنان حقاً ..

★ ★ ★

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ، دخلت
(المستشفى) الصغير الذى أوجدته لنا .. فوجدتها
تواصل وضع الكمادات . بينما أبو الصبي يحاول
إقناعه بتجرع بعض الحليب ..

- « كيف الحال ؟ »

ابتسمت .. وكانت عيناه حمراوين بلون الدم
برهاقاً .. وأرخت قناعها :

- « الحرارة تنخفض . لكن الخطر لم يتراجع .. »

لكن وجه الصبي كان أقل احتقاناً ...

وعرفت أننا - حتى هذه اللحظة - قد بدأنا نربح
معركتنا المرتجلة مع الموت . ونربحها بماذا ؟
بوسائل تثير ضحك أى طبيب فى أحقر وحدة ريفية
معنومة الإمكانيات ..

الخطر لم يتراجع ..

لكنه لم يعد واثقاً من نفسه إلى هذا الحد ...

★ ★ ★

ليلة الكريسماس ...

خرجنا من المجارى لنلقى نظرة على المدينة ..
فأت لم أر (الكريسماس) فى بلد أجنبى قط . ومن
الغريب أننى أراه حين أراه فى بلد أجنبى فى كوكب
آخر .. ووسط طغيان المغول وخطر الطاعون ..

رأيت ذلك الطابع الساحر الحزين للجيد والبرد
واغانى عيد الميلاد ، والاضواء التى تنمى متلانة
بمئات الألوان ، فوق الأشجار التى كساها الثلج
والمزود بأبقاره وخرافه وتمثيل العذراء ووليدها

كان العبيد يحاولون ان يستمتعوا بحياتهم ، تاسين
- أو متناسين - الطاعون والمغول وصوت الضفكات
التي تدوى فى الأحياء الخفية .

لكن المغول ما كتبوا ليتركوا لحظات كهذه ...

كان التلفزيون ينقل باستمرار المذابح التى يقومون
بها فى دول الشرق الأوسط . ثم - فى السابعة مساءً -
أعنت المذبة بوقار عن الانتقال إلى (مقبرة الجدود)
لنقل طقوس (عيد المومياء) ...

- « عيد المومياء ؟ »

- « طبعاً . لقد اختاروا أن يكون هذا العيد ليلة

الكريسماس لإفساد متعة المحتفلين فى كل مكان .. »

وكانت مقبرة الجدود مبهجة حقاً ..

مومياوات معلقة من خطاطيف فى كل صوب وعلى
كل جدار .. وقد راحت الكاميرا تجول بينهم مع تنويه
عن اسم كل مومياء تراها .. والأمجاد التى قامت
بها ...

كنا نشاهد هذه السهرة الممتعة فى وكر (الخاسرين)
تحت الأرض ، وبالطبع لم أجروا على إظهار دهشتى
أو تفرزى لأن ما يدور كان روتينياً بالنسبة للجاسين
جميعاً ..

وبعين لا تصدق رأيت المغول يسكبون الكيروسين
على ثلاث أو أربع مومياوات .. ثم يشعلون فيها
النار ..

وراحت الجذوة الرهيبة تزداد توهجاً .. والضوء
الأصفر المقيت يغمر الوجوه .. فيما المغول ينشدون
بصوت رهيب أنشودة ما .. لا بد أنها نوع من الحنين
لأمجاد الماضى ...

قال (كالاها) ويده على ذقنه .. وقد أحسن
بحاجة إلى التعليق :

- « إن الأوغاد يقدسون النار حقًا .. وهم بهذا
يمنحون التكريم الأعظم لأجدادهم ... »
ثم ابتسم بخبث .. وأردف :
- « لكن الحرق ينتهى بنبوءة دائما .. دعنا نسمع
ما يُقال .. »

لم تعد معالم المومياوات ظاهرة .. فقد تحولت إلى
نوع من الفحم الأسود .. والدخان يزداد كثافة ..
- « تبا ! يا له من حفل منوعات ! »
وإذا بمغولى أشيب اللحية ، يرتدى ثيابا تقنيدية
كالتى ارتداها المغول يوما وهم يفارقون ثلوج
(منغوليا) ، يتقدم فى تودة نحو المومياوات المحترقة ..
وينحنى .. ويصغى ..

هنا دوى صوت رهيب يقول أشياء لا أعرف كنهها ..
ورفع الكاهن - لا بد أنه كاهن - عقيرته يردد ذات
الكلام ..

وهنا بدأ المرح . الصياح .. آلاف المغول
يرقصون حول المومياوات المحترقة .. يلوحون
بالسيوف .. يجرعون الخمر حتى الامتلاء ..
بينما نحن نرمق كل هذا فى غيظ غبى .. أو غباء
مفتاظ ..

التفت أحد الثوار إلى (كالاها) يسأله :

- « ما رأيك ؟ »

- « الأمر واضح .. »

وتنهى فى استسلام ..

سألته - وقد أدركت أنه يجيد اللغة المنغولية - عما

هنالك .. فقال :

- « لقد تكلمت الأوراح .. قالت لهم إن الخطر الذى

يهدد أمة المغول مريض الآن تحت الأرض .. فى

إحدى مدن (أمريكا) .. وأنه حتماً ميت .. فلا خوف

على المحاربين الشجعان .. »

وهنا سمعت صرخة (سلمى)

صرخة لم يسمعها سوى

★ ★ ★

٩ - أحدهم بيننا ..

هرعت إلى المستشفى المرتجل متوقفا أنني سأجد الصبي ينظر للمصقف بعينين لا تريان ، و (سلمى) تولول ، والأب فاقد الوعي أو يولول بدوره ..
حمدا لله لم أر شيئا من هذا ..

فقط كانت (سلمى) واقفة في منتصف القاعة ، ويدها اليمنى في خاضرتها ، ويدها اليسرى تمسك بزجاجة حقن ، وعلى وجهها تعبير اتهام لا يمكن وصفه .. وحين رأته ارتفع حاجب الشك الأيسر وقالت :

- « (سالم) .. لقد كنت موشكة على إعطاء الصبي حقنة المضاد الحيوى ، حين اكتشفت أنها تحوى هذا الشيء ! »

تقدمت في خطوات مترددة ، وأمسكت بزجاجة الـ (ستربتوماسين) التى فى يدها .. وتأملت فيها فى نور المصباح ..

كان الأمر أخطر - إلى حد ما - من انتهاء تاريخ الصلاحية . لقد تم إلصاق ورقة مزيفة على الزجاجة التى يعلم الله وحده ما تحتويه ..

قلت لها وأنا ألقى بالزجاجة فى أحد الأركان :
- خطأ قتل . ولا بد أن هناك من عبث بهذه المعونات . إن هذه الأشياء تحدث ..
قالت بنفس صيغة الاتهام :

- « تحدث كثيرا جدا .. لأننى وجدت ذات التلاعب فى زجاجة مخفض الحرارة أمس .. ثم اكتشفت أن مسحوق اللبن الذى كنت أقدمه له لا يذوب فى الماء جيدا .. وقد أجريت تجربة صغيرة على متطوع رضى بأن يذوق بضعة ملليجرامات من المسحوق . مجرد جزء صغير من طرف الملعقة .. وكانت النتيجة حاسمة .. »

عندها عرفت سر هذه الكتلة من الثياب المكونة فى ركن القاعة .. لقد كان هذا هو (قاسم) - المتطوع - الذى تمدد على الأرض ، غارقا فى القراء والأبين .. لقد لمحته بطرف عيني ولم أبر ما هو ..
كان حيا لكنه يتألم إلى حد يجعله يتمنى لو لم يكن ...

تساءلت في غياء :

- « وما معنى هذا ؟ »

- « معناه أن هناك من يحاول جاهدا الخلاص من
(قطر) الصغير .. وبالتالي هو عميل للمغول .. »
- جلست على الأرض محاولاً أن أستجمع أعصابي ..

وقلت :

- « ولكن لماذا ؟ »

ردت وهي تتناول زجاجة حقن جديدة وتتأكد من
مظهرها :

- « لأنك كنت مقتنعا في خطبتك البليغة .. ويبدو أن
هناك من اقتنع بها أكثر من سواه . »

- « لا أعتقد هذا .. فالمغول - لو علموا مقر
الثوار - لقادرون على اقتحام المكان وحرقه قبل أن
يرتد إليك طرفك .. ويمكنهم التخلص من الصبي وأبي
الصبي وأجداده ، دون حاجة إلى هذه الألاعيب التي
تتم عن ضعف وجبن .. »

قالت وهي تملأ المحقن :

- « بالعكس . إن عميلهم هنا يجعلهم على علم
تام بأسماء الثوار وتحركاتهم .. فهم يمارسون

ما يقوم به رجال المخابرات حين يتركون جاسوسا
(تحت السيطرة) . فيتمتع بحريته كاملة لأن حريته
تقدم لهم من المعلومات ما هو أكثر قيمة من القبض
عليه .. ولا بد أن عميلنا الهمام قد تنقّى أمرا بالخلاص
من الصبي على سبيل الاحتياط .. »

- « وبطبع لو مات الصبي فإطاعون هو المتهم
الوحيد .. »

قالت وهي تفرغ المحقن في فخذ المريض :

- « أو أكون أنا السبب لأنني جاهلة بالطب »
هنا قلت وقد تذكرت شيئا :

- لقد فاتك منذ ثوان احتفال المغول بحرق المومياوات
على شاشة التلفزيون .. كانت هناك نبوءة بصدد هذا
الصبي .. »

- « بالطبع هي نبوءة صادقة جدا . لأنها تقرير
مخابرات وليست نبوءة . وهذا يعطى مصداقية
لكهنتهم النصابين .. »

غطيت وجهي بيدي .. وهمست :

- « رباه ! أنا خائف ! »

هرعت لتجلس جوارى على الأرض وطوقت عنقي
بمعايها ..

- « تخائف يا حبيبى الصغير ؟ »

- « إننى لا أحتمل جو الأخطار والمؤامرات هذا .
فأنا رقيق الإحساس ربما جبان كذلك .. »
- « كلا .. لست جباناً . فقط أنت لا تخجل من
الاعتراف بالخوف .. »

كانت رقتها تغمرنى ..

وتذكرت - فى زحام الهموم - أننى أحبها كثيراً ..
فقط لم أجد وقتاً كافياً للتعبير عن ذلك أو لاستعادته ...
وهناك إذ جلسنا على الأرض نرمل جسد الصبى
النائم - والذي بدأ يتحسن بشكل واضح - كان السؤال
الذى يؤرقنا هو ..
من هو ؟ من هو ؟

★ ★ ★

بالطبع هو (ماك - جورج) الدب الأسود الفظ ..

قالت (سلمى) باسمه :

- « لا أظن .. أنت تكرهه مثلى لكن ذكاءه المحدود
لا يتيح له أن يلعب دور العميل . إننى أفكر فى آخر
واحد يمكن التفكير فيه .. (كالاهان) . إن الأشخاص
شديدى المودة يكونون هم الجناة دوماً فى القصص
البوليسية التى على غرار (من فعلها ؟) .. »

- « وماذا عن (جيمى) النصاب ؟ »

- « وماذا عن باقى الثوار ؟ إن الاحتمالات كثيرة
جداً .. لكن يجب أن تثق بواحد .. »
- « أنا أعرف ! »

كان هذا هو الأب التركى الذى تحامل على نفسه
ليجنس . وهز رأسه ليتخلص من الدوار المزعج ..
وراح يجفف ما على وجهه من عرق ، وما على
شفتيه من قيء ...

قالت (سلمى) فى سرور :

- « يسرنى أنك لم تمت بعد .. »

قال وهو غير مستعد للرد على دعائها :

- « (أبو فراس) .. سنذهب إليه .. إنه يعرف

ما يجب عمله .. »

- « ولكن »

- « البقاء هنا لا يعنى سوى موت الصبى .. فى

هذه المرة لن يكون الطاعون هو السبب . »

وراح يجمع زجاجات الدواء المبعثرة والسرنجات
فى كيس بلاستيكى .. ثم طلب منى أن أحمل الصبى
لأنه لا يقدر على ذلك .. أنا ؟ أحمل بين ذراعى
مريض طاعون ؟ إن الرجل يبالغ حقاً ..

همست (سئمی) وقد فهمت ما يدور بخدي :
 - « هلم . لقد فعلها (بونبرت) مع مريض طعون
 في (عكا) .. ولم يكن هناك علاج للمرض وقتها »
 - « يا سلام ! لقد فعلها (بونبرت) كي يزيل
 مخاوف الأطباء من المرض ويضرب لهم مثلا شجاعا
 وربما فعلها تظاهرا كي يتحدث عنه التاريخ باعجاب
 لكن ماذا أحاول إثباته أنا ؟ »

تهدت في صبر .. وقالت :

- « (سالم) ! احمل الصبي ! »

وعلى كل حال فعلت ما طلبته مني حرفيا
 وفي هذه المرة ثم نخرج إلى القاعة الرئيسية حيث
 الثوار ، بل قادنا الأب إلى ممر جتبي متعرج مظلم .
 ورحنا نركض لاهئين ومياه المجاري تتناثر تحت
 أقدامنا ..

طراش ش ' دوى هذا الصوت أكثر من مرة حين
 كان أحدهما يتعثر أو يوسك على ذلك نكنف واصتبا
 ركضنا هاربين من المكان .

وحينما فتح غطاء المجرور ، ثم نكن نعرف هذا
 ليل أم نهار . فكل الأوقات تتشابه تحت الأرض



ورحنا نركض لاهئين ومياه المجاري تتناثر تحت أقدامنا ..

لكننا لمحنا اللون الأسود والأضواء الخافتة
القصية ، فعرفنا أننا ليلاً ..

بل فى منتصف الليل على وجه الدقة ..
الجليد يغطى الأرض .. ومن بعيد تسمع أنشيد
الكريسماس .. وتسمع جلبة المحتفلين .. لكننا هنا
نحاول أن نعيد غطاء المجرور إلى مكانه ، ونهيل
الثلج عليه ليبدو غير مختلف عما حوله ..
واجتزنا بضعة أرفعة من تلك التى لم نر سواها فى
(نيويورك) ..

وعند قارعة الطريق رأينا الشرطى المغولى
وكان يشير نحونا بفوهة بندقيته الآلية .. وسمعناه
يهتف :

- « تعالوا ! »

★ ★ ★

فى رعب تقدمنا . لكن الأب كان أكثرنا جرأة ..
رأيتَه يَدنو من الشرطى . ينحنى ليدنى فمه من
أذنه ويهمس بشيء ما .. هنا ابتسم الشرطى وتأمنا
قليلاً ..

ثم - بعربية واضحة - سمعته يقول :

- « مرحباً بكما .. أنتما فى أمان الآن ! »

- هتفت (سلمى) فى ذهول :

- « أنت ؟ »

- « نعم أنا (أبو فراس) .. إن نوبة حراستى هنا

دائماً .. والجميع يعرف أين يجدنى .. »

قلت أنا متبهرًا :

- « تتكر متقن حقاً ! »

- « إنه كذلك .. ولا يكلف كثيراً سوى إطالة

شاربيك ، وإجراء جراحة تجميل لجعل عينيك مشدودتين

ضيقتين . لم يستطع أحد أن يشك فى على مدى

خمسة أعوام .. »

- ثم دعانا إلى وكره .. وهو بيت صغير من

القرميد الأحمر على بعد مائة متر من المكان الذى

قابلناه فيه ..

أوقد النار فى مدفأة صغيرة ، وأعد لنا بعض

الشاي ، ثم مسح يده على جبين الصبى .. وقال :

- « لرى أنه يتحسن .. ما اسمه ؟ »

- « (سيف) .. »

ولم أرد أن أوضح أكثر .. فمن يدري ؟

قال الأب :

- « نريد تهريبه خارج البلاد باسم مستعار نريد
بلداً آمناً يترعرع فيه في سلام ريف (نيوزلندا)
أو (أستراليا) .. »

- « هل لي أن أعرف السبب ؟ »

صمت الأب مفكراً . ومن التواضح أنه قرر أن
يخفي أوراقه لأسباب مشابهة لأسبابي .. ثم يعد من
ال الممكن الثقة بأحد في هذا العالم

هنا نظر (أبو فراس) لي و (سلمى) وقال :

- « والان هل لي أن أتشرف باسمكما . وكيف

دخلتما البلاد ؟ »

قال الأب وهو يرشف الشاي :

- « كيف لا تعرفهما يا (أبو فراس) ؟ ما من

عربي يدخل البلاد من دون عونك »

- « لهذا أسأل .. ربما أنسى الأسماء لكنني لا أنسى

الوجوه .. »

وابتسم ابتسامة قاسية واردف .

- « وعليهما أن يثبتا لي أنهما ليسا جاسوسين

للمغول .. »

★ ★ ★

١٠ - الفرار ..

في هذه المرة كان لا بد من أن نحكي كل شيء
بالتفصيل .

بدأ الأمر لـ (أبو فراس) كاحدى قصص الخيال
الغنى وفي الغائب لم يصدق حرفاً . لكنه افترض
كذلك أننا معقوهان ولنا جاسوسين لدى المغول ..

★ ★ ★

وحينما وصلت بقصتي إلى الدواء المفشوش بدأ
الاهتمام عني وجهه ، اذى تمكن جراحو التجميل من
جعله وجهاً مغولياً شرساً ..

وقال وقد بدأ يفهم :

- « لا بد من وجود جاسوس هذا طبيعي .. لكنني

الان أعرف من هو . إنه (كالاها) طبيباً . فهو الوحيد

الذى يتعامل مع صناديق المعونات الطبية والألبان .

ثم إنه ضائع في تدبير كل خطة فشنة قام بها (الخاسرون) ..

عندما يتجه خمسة منهم لتفجير مخزن سلاح ،

ويجدون المغول ينتظرونهم من صاحب الخطة ؟

(ستيفن) و (كالاهاان) .. عندما نخطط لنسف
(أوجوتاي) ونجد المغول قد نقلوا كبلاته . من
صاحب الخطة ؟ (ماك - جورج) و (كالاهاان) . «
قلت مفسراً :

- « أى أن (كالاهاان) هو المضاعف المشترك
الأصغر فى كل هذا .. »

- « لكن إثبات هذا عسير فى مهنة خطرة بطبيعتها ..
أنتم الآن تقدمان لى برهاناً لا يحتمل الخطأ .. »

ثم نظر إلى الصبى وقال :
- « سنقوم بترحيله إلى مصر بمجرد ما يستعيد

قدرته على المشى .. »
صحت فى احتجاج :

- « مصر ؟ إن البلاد العربية كلها غير آمنة فى
هذه الفترة .. فالمغول يتوقعون الخطر منها .. »

قال فى ثقة :
- « سنعرف كيف نخفيه هناك بين الفلاحين أو

سواهم .. لا بد من أن يتراجع (قطز) فى مصر إذا
كانت النبوءة صادقة . وبهذا لن نترك احتمالاً

للفشل .. »

قلت له وقد تذكرت مشكلتنا الخاصة :

- « ثمة نقطة أخرى .. إن جهاز نقل الجزيئات
الآن فى حوزة واحد من الخاسرين يدعى (لارى
هولدن) .. وقد ذهب فى مهمة لم يعد منها حتى
الآن .. فهل عندك فكرة عن ؟ »

- « إن (لارى) قد خرج لنسف مركز اتصالات
ال (إيثرنت) الخاص بالمغول . والخطة من تدبير

(كالاهاان) .. أعتقد أنه سيلقى مفاجأة غير سارة
إن كان لى أن اعتمد على حدسى .. إن العشور على

جهاز كما شبه مستحيل . لكن عندى أملاً واحياً .. »
ثم نظر إلى الأب .. وسأله :

- « هل هناك جثث جديدة فى (سنترال بارك) ؟ »
- يبدو أن هناك اثنتين .. »

قال لى وهو يحشو مسدساً ويدسه فى حزامه ..
ويتأكد من وجود الرشاش والقبائل اليدوية :

- « إن المغول يحلقون قتلاهم فى (سنترال بارك)
كالذبائح .. ويمنعون دفنهم .. نحتاج إلى حظ غير

عادى كى نجد (لارى) هناك ، ونجد الجهاز فى
جيبه .. فلنأمل أن المغول لم يفتشوا جثته .. »

قال الأب مؤمناً :

- « ولنا أمل أن طنقتهم لم تهشم الجهاز ! »

بدالى الأمل واهياً كأمل أن تمزق طنقة رصاص
قنبك وتبقى حياً . لكنى تمسكت به على كل حال ..

- « هيا بنا ... »

وحمل الأب صغيره بين ذراعيه .. وأمسكت
بـ (سلمى) من ذراعها .. واتجهنا نحو باب المخبأ ..
كانت هناك دراجة بخارية خاصة بـ (أبو فراس) من
دراجات الشرطة .. لكننا صرنا مضطرين للمشى ..

سألته ونحن نخترق الشوارع الخلفية لاهئين :

- « ما هى خطتك لتهرب الصبى ؟ »

قال وهو يتلفت حوله فى حذر :

- هناك طيار روسى يدعى (أنطون إيزاروفيتش) .

هو الذى يتولى هذه الأمور .. فانروس هم الذين
اخترعوا دفاعات الرادار للمغول ، وهم الذين اخترعوا
طائرات قادرة على اختراق هذه الدفاعات ! لقد قدموا
للمغول السجن ، وقدموا للشوار المفتاح ! لذا أستطيع
الدخول والخروج بحرية تامة ..

- « أنت رائع يا (أبو فراس) ! »

- « هذا صحيح . أنا (بابا نويل) العرب ها هنا ..

وكنهم يعرفون أننى سأنقذهم من أى خطر . »

- « نحن مدينون لك .. »

قال وهو يلهث فى ركضه وقد سبقنى ببضعة أمتار :

- « أنا كذك مدين لكم .. فأنا فى الخامسة

والأربعين من عمري ، وقد صار الكفاح مهنة مرهقة

لى .. عشرون عاماً أركض فى الشوارع الخلفية ،

وأهرب السلاح ، وأطلق النار على المغول .. ثم ... »

ثم التفت للوراء والتمعت عيناه .. وأردف ... »

- « ثم جنتما لتقولاً لى إن هناك أملاً .. بعدما ظننت

أنه لا أمل هناك ، وأن المغول باقون حتى تقوم

الساعة .. من يدري ؟ ربما لو عشت عشرة أعوام

أخرى لصرت من قادة (قطز) .. وربما وقفت بجانبه

فى تلك المعركة .. فتم لى ما اسمها ؟ »

✦ (عين جالوت »

✦ (عين جالوت »

ولم يكمل حروف الكلمة .. لأن الليل استحال نهراً ..

ورأينا عشرات الكشافات مصوبة نحونا من كل

الاتجاهات .. كأن الشمس قد تحالفت علينا ..

ودوت طنقات الرصاص كالسيل المنهمر ..

بصعوبة عرفت أن هذا هو صوت الرصاص ، وأن
هذه الطلقات موجهة نحونا .. فقد بدا الأمر كحلم
ملون غريب ..

- « اللعنة ! »

قالها وألقى بقبلة انتزعها من حزامه .. وراح
يركض نحو الجدار المجاور لنا .. فهرعنا نركض
وراءه .. وشعرت بألم حاد في كعب خذالي ، لا .. بل
في كعب قدمي .. لكنني لم أكف عن الركض ...
وحين نظرت لحظة إلى الوراء رأيت المكان قد
استحال إلى ضباب كثيف عجزت الكشافات عن
اخرائه ..

كانت قبلة دخان ..

وتوارينا في الفراغ ما بين بنايتين .. فراغ ضيق
لكنه يسمح له بإطلاق الرصاص بفزارة ولا يسمح
لمحاصرينا بالدنو .. لكنه مصيدة فئران لعينة لا يمكن
البقاء فيها أكثر من دقائق ..

وسمعه يقول وهو يشهر بندقيته الآتية :

- « إيه (كالاها) .. لقد أبلغهم بمقرى .. اللعنة !
إنهم يخشوننا حقاً ، وقد دفعهم الخوف إلى التخلي عن
مراقبتهم الحذرة .. »

ثم نظر إلى الأب المذعور وقال له بلهجة لا تقبل
المناقشة :

- « ستذهب إلى (جيمي) .. هو يعرف أين
يقودك .. وسوف يقوم (إيزاروفتش) بالفرار بك
هذه الليلة .. »

وداعب وجه الصبي السقيم بسبابته .. وقال :

- « وداعاً أيها القائد (قطز) .. لا ترفق بهم ..
وانكرني بالخير في كتب التاريخ التي ستصف مجدك ..
يجب أن تدمر الكمبيوتر (هولكو) في (سيبيريا)
قبل أن تقارع جيوش (كتيغا) في (عين جالوت) ..
لا تنس هذا ! »

ثم نظر لي و (سلمى) وهتف بذات اللهجة :

- « أما أنتما فتذهبان إلى (سنترال بارك)
وحدكما .. وإن لم تجدا الجهاز فاذهبا إلى (جيمي)
طالبين العون .. وداعاً ! وخذا هذا معكما .. »

هتفت (سلمى) وهي ترمق المسدس الذي في
قبضتي :

- « سنبقى معك ! »

- « هل تمزحان ؟ لا بد من أن أغطي هروبكما
بستار من النيران .. ثم إنهم سيحضرون قاذفات

الذهب حالاً . وهي كغيلة بتحويل هذا المكان إلى
سقر .. أسرعاً ! »

واندفعنا نركض بين البنائيتين قاصدين الجهة الأخرى
غير المحاصرة . ونحن لا نزال نسمع صيحته :
(أسرعوا) ..

بعدها انطلق وابل من النيران من بندقيته الآلية .

★ ★ ★

لم يكن هناك سوى الظلام عند نهاية الفراغ بين
البنائيتين .

رحنا نركض في المساحة الخالية المكشوفة ،
ولحسن الحظ كانت هناك سيارتنا أجرة تقفان بعيداً ،
وقد وقف سائقها خارجاً يثرثران ويدخان ..

وعلى الفور وثب الأب وابنه في واحدة ، ووثبت
و (سلمى) في الأخرى .. ونظر السائقان لنا في
دهشة .. ثمة اتجاه كل منهما إلى سيارته .

أخرجت رأسي من النافذة ولوحت للأب ..
ربما لن يرى أحدنا الآخر ، لكنني أعرف أنه سيذكرنا
طويلاً جداً كما سنذكره .. هذا إن بقي أحدنا حياً .

هتف الأب بالإنجليزية :

- « سننجح .. اطمئن علينا .. المشكلة الحقيقية
هي مشكلتكما ! »

ثم أردف بالعربية والسيارة تتحرك (حتى لا يفهم
السائق كلامه) :

- « لا تتوقفا أبداً حين ترونهم .. فهم لن يندروكما
أو يقبضوا عليكما أو يستجوبوكما .. بل سيطلقون
الرصاص على الفور ! »

وتحركت السيارة بعيداً عن عيوننا ...
وهنا رأينا لسان النار يخرج من الشق الذي كنا فيه
بين البنائيتين وعرفنا أن (أبو فراس) كان صادقاً ...
رحمه الله .. لقد كان رجلاً شجاعاً !

- « (سنترال بارك) بأقصى سرعة .. »
فتتها للسائق الزنجي . فسألني بأسلوب الزنوج
المميز في الكلام :

- « هل عندك مشاكل مع المفلول يا رجل ؟ أنا
لا أريد مشاكل ! »

- « لا تقلق .. فقط تحرك سريعاً .. »
وانطلق السائق ينهب الشوارع نهباً . الشوارع
المظلمة الكئيبة التي كساها الجليد .. وعلى الرغم مني
خرجت أنه من بين أسناني ..

- « هل أصبت ؟ »

- « نعم .. فى كعبى .. ولكن لا داعى للهستيريا ..

الأشياء المهمة أولاً .. »

وهنا لمحنا الأضواء من ورائنا .. ودوت سرينة
عربات الشرطة تولول منذرة بهلاكنا التام وموتنا
الزؤام ..

قال الزنجى وهو يرمق المرأة :

- « اللعنة يا رجل ! انتما هاربان ! سأوقفك ! »

- « لا يا غبى .. فهم لا يتناقشون .. »

- « وأنا لا أريد مشاكل لعينة .. إنهم يعرفون رقم

سيارتى الآن ! »

وأدار المقود ليقف إلى جانب الطريق ..

وداس الفرملة .. عندها جذبت يد (سلمى)

وفتحت الباب الجانبي ووثبنا منه .. وأطلقنا ساقينا

للريح ..

كان هناك زقاق ضيق .. فاندفعنا نجرى فيه ..

واخترنا أول منعطف لليسار ثم ثأى منعطف لليسار ..

★ ★ ★

إنهم لن ينذروكمما أو يقبضوا عليكمما أو
يسحبوكمما .. بل سيطلقون الرصاص على الفور .

★ ★ ★

(سنترال بارك) ..

الحديقة الأسطورية تغفو فى الظلام وقد أشعرها
الجليد ببرد شديد ..

إنها مكان غير مأمون فى عالمى . يؤمسه
النصوص وتجار المخدرات ، ولا يمكن المشى فيه
ليلاً إلا بمطواة مفتوحة ..

لكنها - فى عالم القهر هذا - مكان مأمون .. من
التغريب أن البلطجية فى هذا العالم وجدوا أنفسهم
مرغمين على لعب دور الثوار ..

الخطر الوحيد هنا يأتى من الشرطة .. لا من أعدائها !
كنا نركض لاهثين ...

البخار يتصاعد من ثغرينا .. وأذاننا تصفر

ثمة إحساس يغمرنى بأن هذه هى نهاية الفيلم
ترى هل يكون المخرج من التقليديين فينهي فيلمه
نهاية سعيدة ، أم يكون ثائراً من تلاميذ الواقعية
الإيطالية فينهي الفيلم بموتنا شر مية ؟

إننى أفضل المخرج الثانى حين أذهب للسینما .
لكنى فى الحياة أفضل بتأكيد المخرج الأول .
هه ! هه ! المزيد من البخار ...

وهناك - على ضوء مصابيح الصوديوم الخافت -
استطعت أن أرى الأجساد المعنقة .. كل جسد معلق
على عمود إضاءة ..

★ ★ ★

ودنونا بحذر من مشهد الهول هذا .
كانت ستة أجساد . اثنان منها بلا رأس ..
وقد تدلت الأجساد بحبال غليظة ربطت إلى السيقان ..
وفى الضوء الخافت كان بوسعنا أن نرى الثقوب
الدائمة فى الأجساد . فى الرءوس .. فى الأعناق .
فى العيون ...

مدت (سلمى) عنقها إلى الأمام وشهقت ..
ثم إنها أفرغت معدتها . وعندها استطاعت أن
تنفس .

« يا للهول ! »

كان هناك جسدان انتفخا وفاحت رائحة العفن
منهما .. يمكننا إذن أن نستثيهما .. فالأجساد

لا تتعفن بهذه السرعة فى الشتاء .. و (لارى هولدن)
- لو كان قد مات - لا يمكن أن يكون قد مضى عليه
أكثر من يومين .. وكانت هاتان هما الجثتان عديمتا
الرأس ..

بقيت أربعة أجساد ..

اتجهت إلى العمود الأول .. ورحت أتسلق المعدن
البارد ببطء شديد وتأملت الوجه الغائب فى سر
الأسرار ..

كان أقبح من رأيت فى حياتى ..

مددت جسمى محاولا الوصول إلى جيبه لكنه
كان بعيدا عن متناول يدي .. رحمت أحاول مرارا ..
هنا صاحت (سلمى) وهى تنظر لأعلى نحوى :
- « (سالم) . لا تضيع وقتك .. اختر أكثر
الجثث وسامة فلا بد أنه هو ! ألم يقولوا إن كنيته هى
(الجميل) ؟ »

حقا يا (سلمى) . أنت ذكية حقاً ...

ورحت - وقد عدت إلى الأرض - أفتش عن أكثر
الجثث جمالاً ..

يا لها من مهمة سخيفة ! إن الجثث كلها تتشابه .

فزع الموت يشوه الوجوه كلها ، اكتت لـ (مارلين مونرو)
أو أحذب (النوتردام) كان هناك فتى استقر الشعر
ازرق العينين ربما هو وسيم كذلك

وفى هذه المرة كان تصرفى إيجابياً . أخرجت
المسدس وأحكمت التصويب على الحبل الغليظ و ..
بوم !

ووم ' ووم ' ووم ' راح الصدى يردد الطنقة
عشرات المرات ، وعلى الأرض تمددت جثة الفتى
والجليد يتأثر حولها ..

« هل جنت يا (سالم) ؟ »

« هذه هى الطريقة الوحيدة لفحص الجيوب . »

« لكن الموتى سيسمعوننا ! »

« إن المغول أتون هنا على كل حال .. فسائق
سيارة الأجرة قد أخبرهم بكل شيء حتى اسم زوج
خالته .. »

كنت أتكلم وأنا أبحث فى الجيوب ملهوفاً .. الدم
المتجمد يلوث يدي ، وشعور حقير بأننى سارق جنث ..
لكنى تغلبت على تفرزى وواصلت البحث

لاشياء ..

ونهضت باحثاً عن عمود آخر عليه جثة حسنة
المظهر ..

كانت جثة شاب أسود الشعر .. ويبدو أنه لاقى
عناء كبيراً فى الموت فأتعبوه وأتعبهم .

بوم ! سقطت الجثة وسط الثلوج .. ورحت أنقب
فى جيوبها ..

لا شيء ...

وهنا خطرت لى فكرة .. لم لا يكون الـ

وهنا رأينا الطائرة قادمة

★ ★ ★

إنهم لن ينثروكمما . أو يقبضوا عليكمما .. أو
يستجوبوكما . بل سيطلقون الرصاص على الفور ...

★ ★ ★

رائقاتنا آتاه !

ورأيت خطأ من طنقات الرصاص يرسم على الجليد
فى اتجاهنا . ومرّ الخط على بعد مترين منا .. ولمحت
وجه (سمنى) يتلمع فى ضوء الكشاف القوي وهى
تصرخ ، بينما الجنيد يتأثر فى كل صوب ..

وحين ابتعدت الطائرة لتقوم بدورة أخرى ،

استطعت أن أعرف أنها طائرة عمودية .. وأن
(مترليوز) هائل الحجم يخرج من بابها ..

- « (سالم) ! فلتهرب ! »

نعم .. هذا حق .. ولكن لأين ؟

ورأيتها ترجع لتعيد الكرة .. فأمرت (سلمى)
بالاحتفاء خلف عمود .. وصوبت المسدس في دقة ..
وكنمت أنفاسي ..

إن الطائرة دانية جدًا .. سأكون أحمق لو لم أصبها ..
سأكون أحمق لو لم أرسلها إلى جهنم ..

وفي اللحظة التالية أطلقت الرصاص مرتين ..
ولم تنفجر الطائرة .. لكني رأيت شيئاً بهوى منها
كجوال ثقيل .. وسمعت صرخة مكتومة ورأيت الجليد
يتصاعد كسحابة من طباشور ...

لقد سقط القناص

دارت الطائرة دورة أخيرة ثم ابتعدت ...
طبعاً لتحضر المزيد من الطائرات وعربات الشرطة
وقاذفات اللهب .. يجب استغلال الثواني الباقية لنا ...
عندي فكرة لا بأس بها ..

إنهم يسمون (لارى هولدن) باسم (الجميل) ..
قد تكون هذه دعابة فظة من التي يمارسها الرعاع
أحياناً .. بل يمارسها نحن حين نسمي طفلاً بانساً

فقيراً باسم (البرنس) .. أو نطلق على المصاب
باللعثمة لقب (الفصيح) ...

ربما كان (لارى هولدن) هذا قبيحاً جداً .. وكاثوا
يتهمون عليه ..

ومن أقبح من صاحب الجثة الأولى ؟
اتجهت نحو العمود وأطلقت طلقة واحدة - ربما
هي الأخيرة فلم أعد أذكر - ورأيت جثته تهوى فوق
التلوج ..

صاحت (سلمى) محتجة :

- « لكن .. لكنه قبيح ! »

لكني رحت أفتش جيوبه بعناية .. لحسن الحظ أن
الطلقة التي قتله كانت في رأسه .. لكن .. لا يوجد
جهاز ! لا يوجد شيء !

هنا شعرت بشيء بارز في أسفل بطنه .. شيء حشرة
هو بين جدار البطن وبين حزامه ...

دعوت الله ألا يكون هذا مسدساً .. ألا يكون
مليون دولار من دولارات المغول .. ألا يكون أي
شيء سوى

وبعد لحظة خرج جهاز ناقل الجزيئات في يدي !

كان سليماً كالكمّان ..

وبدا لي أروع شيء رأيته في حياتي ...

- « (سلمى) إنه هنا ! »

- « حمداً لله ! »

ودوى هدير محركات طائرات المغول وسيارات
المغول .. وسمعنا طلقاتهم تمزق الهواء من حولنا ...
جريت كما لم أجر من قبل (إن كعبي يقتلني) ..
وجرت (سلمى) كما لم تجر من قبل .. وتلامس
جسدانا ...

تشبثت بذراعها .. وتركتها تضغط الأزرار ، بينما
الكشافات تسلط علينا من كل صوب .. ودنت طائرتان
منا أكثر فأكثر ...

٥٢٠ - ج - ٧٧ ..

اضغطى زر الإدخال يا (سلمى) بسرعة ..
طلقة مرت على بعد متر منا واصطدمت بالتلوج ..
لن يتخاذل الجهاز .. أعرف أنه لن يتخاذل .. فلا
وقت للمزاح ها هنا ..

هيا ... !

وتلاشت أرض المغول من حولنا .
ومن جديد اختلطت جزيئاتنا بجزيئات الكون ذاته ..
ولم يعد هناك قبل ولا بعد

★ ★ ★



هنا شعرت بشيء بارز فى أسفل بطنه .. شيء حشره هو بين
جدار البطن وبين حزامه ..

خاتمة

مرحباً .. أنا د. (رفعت إسماعيل) يعود لكم ..
لقد فرغت من مطالعة خطاب (سالم) ووجدته
مسلياً بحق .. ربما هو بشع إلى حد ما .. ينبو عن
الذوق أحياناً .. مقبض دائماً .. لكنه مسلّ ...
أنا - عن نفسي - أمقت الموميאות المشتعلة ،
والجثث مقطوعة الرأس ، والطاعون بخاراريجه
الملاى بالصديد ..

لكن البعض يحبون هذه الأشياء .. وإبنى لن
أفهم أبداً ..

يقولون إن مخرج الرعب الشهير (جون كاربنتر)
قد تشاجر مع أحد المنتجين ، وطالبه الأخير بإعادة
إخراج أحد أفلامه ، ليضيف له مزيداً من الدماء
والأطراف المبتورة (حتى لا يخيب أمل الشباب) !
لا بد أن هذا المنتج كان سيحب قصة (أرض
المغول) كثيراً ..

لكنى - برغم هذا - أجدها قصة جيدة عن القمع
الوحشى .. ومحاولة الثورة ضد طغيان أعمى ..
وخيال أحلام السيطرة لدى كل (ديكتاتور) وأنه
أرضنا القصص هذه ..

إن الشعوب لا تموت .. والأمل لا يفنى ..
وبعد

كانت هذه هي القصة الثانية لـ (سالم وسلمى) ،
والتي تأخرت دهرًا حتى قدمتها لكم .. وثمة قصة
ثالثة - ربما تروق لكم - سأقدمها قريباً جداً هي
(أسطورة أرض العظايا) .. وقصة رابعة هي
(أسطورة أرض الظلام) .. وهى آخر ما لدى حالياً
من قصصهما ...

والآن نعود لعالمى اللطيف الرقيق ..
سأحدثكم عن مصاصى الدماء !

إننا لم نتحدث عنهم من فترة طويلة جداً .. وإبنى
لمندهش لأننى أهملت هذه القصة المحببة لدى كل هذا
الوقت ..

إن الشاحبين يختلفون عن الآخرين ، لهذا يفضلون
الوحدة .. ربما كان جارك منهم ، لكنك لن تعرف ذلك أبداً ..
لكن إذا انقلبت الآية ووجدت نفسك وحيداً فى
مجتمع من الشاحبين عندئذ

ولكن هذه قصة أخرى ..

د. رفعت إسماعيل
القاهرة



ما وراء الطبيعة

روايات الخبير الأسير
مؤلفات الخبير الأسير

روايات مصرجة الحبيب

أسطورة أرض المغول

في أرض المغول يغدو الغد

ضرباً من أحلام اليقظة .. في أرض

المغول يصير الموت نشاطاً يومياً على

قارعة الطريق لا يثير اهتمام أحد .. في

أرض المغول لا توجد سوى لعبة واحدة

هي البقاء حياً ، ورياضة واحدة هي

الهرب ، و أمنية واحدة .. هي أن

تطيش الرصاص القادرة

بعبداً عنك :



أحمد خالد توفيق

Hany3H

العدد القادم :
أسطورة الشاحين

التأليف
أسطورة العربية الحديثة
تأليف أحمد خالد توفيق
تأليف أحمد خالد توفيق
تأليف أحمد خالد توفيق

التمن في مصر ١٥٠
ومائتان بالدرار الأسير
في سائر الدول العربية والعالم